فتح المعبود

في الرد على ابن محمود

تأليف الفقير إلى الله تعالى

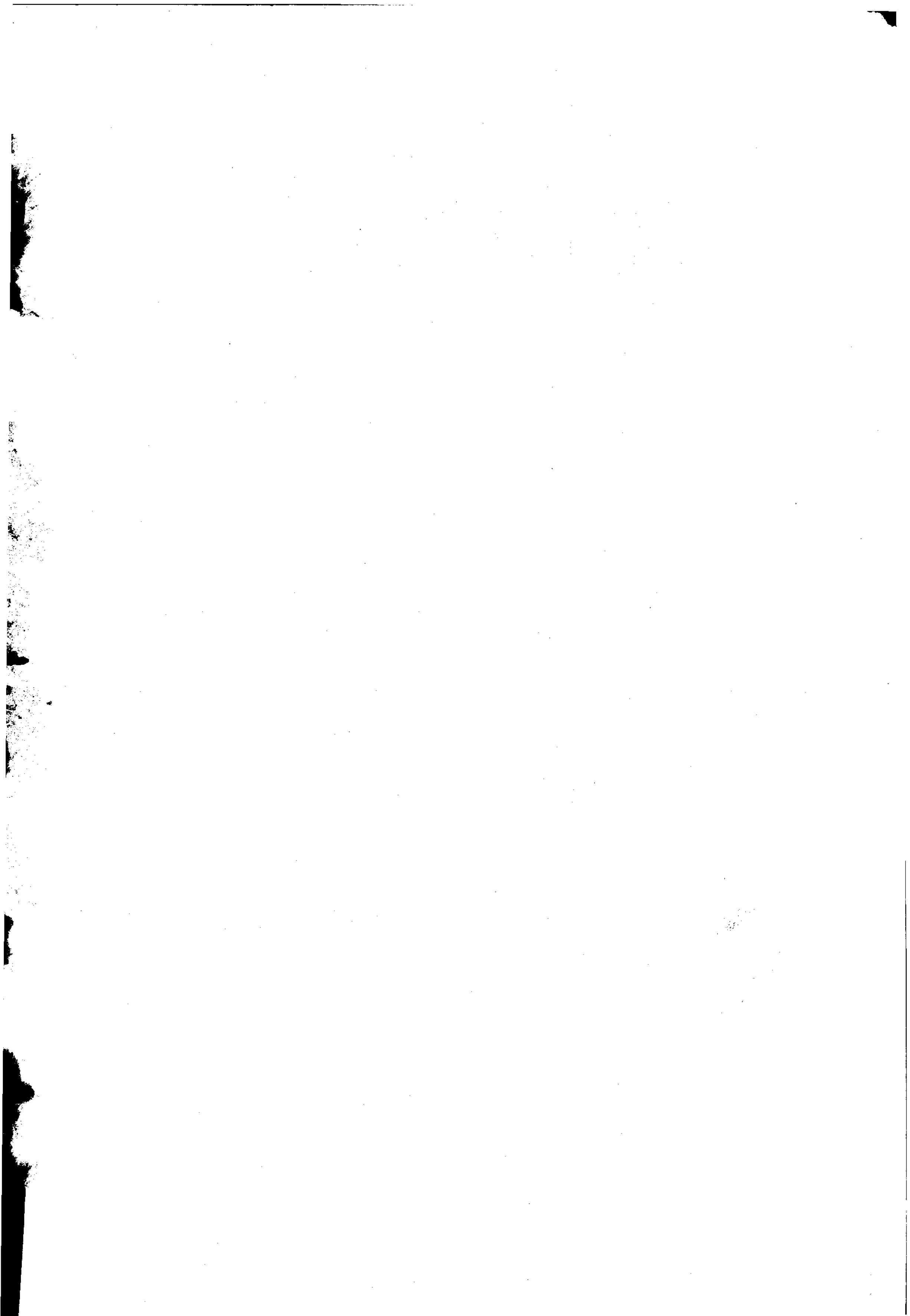
حمود بن عبد الله التويجري

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات

الطبعة الأولى

مطبعة المدني

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م



تقـــديم

للشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العـــام

لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

بسم اللـــه الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللـه وعلى آلـه وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعـــد :

فقد اطلعت على ما كتبه أخونا العـــلامة فضيلة الشيخ حمـــود بن عبد الله التويجري وفقه اللـــه من التعقيب على ما كتبه فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد بن محمود في الايمان بالقدر وفي بيان الفرق بين الرسول والنبي وانه ليس كل نبي رسولا وفي الذب عن أبي ذر رضي اللـــه عنه وفي الفرق بين الاسلام والايمان فألفيته قد أجاد وأفاد وأوضح الأخطاء التي وقع فيها فضيلة الشيخ عبدالله المذكور بالأدلة الواضحة من الكتاب والسنة .

ومن ذلك خطأه في تأويل كتابة القدر بانها نفس العلم . والصواب انها غير العلم بل مرتبة ثانية بعـد العلم ومن ذلك زعمه أن كل نبي رسول والصواب ما أوضحه فضيلة الشيخ حمود من الفرق بينهما بالأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب

والسنة . وهو أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا كما يتضح ذلك جليا لكل من راجع الأدلة التي أوضحها الشيخ حمود المذكور وبينها أهل العلم قبله وهكذا ما أوضحه فضيلة الشيخ حمود من الفرق بين الاسلام والايمان عند الاقتران وانه ليس كل مسلم مؤمنا على الكمال بل كل مؤمن مسلم ولا ينعكس للأدلة التي أوضحها فضيلته وبسطها قبله أهل العلم كشيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ ابن كثير والحافظ ابن رجب وغيرهم . فجزاه الله خيرا وشكر له سعيه وأجزل مثوبته .

كما نسأله سبحانه أن يوفق أخانا فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد لمراجعة الحق فان ذلك خير من التمادي في الخطأ وكل انسان يخطىء ويصيب الا الرسل عليهم الصلاة والسلام فقد عصمهم الله من الخطأ فيما يبلغونه عنه من الرسالات ومن نبل العالم وفضله أن يرجع الى الحق متى نبه على خطئه .

والله اسأل أن يوفقنا جميعا للفقه في الدين والثبات عليه وأن يعيذنا جميعا من مضلات الفتن وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويمن علينا باجتنابه انه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ...

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

الرئيس العام

لادارات البحوث العلمية والافتاء

والدعوة والارشاد

تقـــديم

للشيخ عبدالله بن محمـــد بن حميد

رئيس مجلس القضـــاء الأعلى

بسم اللـــه الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آلـــه وأصحابه ومن والاه ٠ وبعـــد :

فقد قرأ علي فضيلة الشيخ حمـود بن عبدالله التويجري مؤلفه القيم الذي سماه (فتح المعبودفيالرد على ابن محمود) ٠

أجاد فيه وأفاد وأوضح فيه مذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر وما عليه المحققون من الفرق بين الايمـــان والاسلام وبين النبي والرسول بالبراهين الواضحـة ، وبين غلط الشيخ ابن محمود في القضـــاء والقـدر حيث زعم ابن محمود أن الكتابة في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب مقادير الخـلائق قبل أن يخلق السموات والأرض هي عبارة عن العلم القائم بذات الله وهو معنى قول أحدنا قدر اللـــه وما شاء فعل وهذا خطأ بين فان كتابة الشيء غير سابق علم الله فقد جاءت الأحاديث الكثيرة بأن أول ما خلق اللـــه القلم فقال له أكتب فجرى في تلك الساعة بما هـــو كائن الى يوم القيامة ٠ ولم يقل أحد من أهـل السنة فيما علمت أن كتابة المقادير هي العلم القائم بذاته سبحانه وتعالى ، فعلى هـذا لا معنى لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب مقادير الخلائق

قبل أن يخلق السموات والارض الحديث لكونه فسر الكتابة بسابق علم الله ولا يخفى فساد هذا . قال ابن القيم ما معناه مراتب القضاء والقدر أربع مراتب . الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها . الثانية : كتابة ذلك عنده في الازل قبل خلق السموات والأرض . الثالثة : مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن كما لا خروج له عن علمه . الرابعة : خلقه لها وايجاده وتكوينه فالله خالق كل شيء وما سواه مخلوق .

ثانيا : زعم ابن محمود أن القدر هو خلقه للأشياء بنظام واتقان ثابت لا يتغير بتغير الزمان كل شيء بحسبه وهذا مخالف لما في الأحاديث الصحيحة .

فتقدير الله للأشياء هو علمه بمقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل ايجادها ثم أوجد منها ما سبق في علمه انه يوجده على نحو ما سبق في علمه فلا محدث في العالم العلوي والسفلي الا هو صادر عن علمه تعالى وقدرته وارادته هذا هو المعلوم من دين السلف الماضين الذي دلت عليه البراهين .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : مذهب أهل السنة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وما عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في الوجود شيء الا بمشيئته وقدرته لا يمتنع

عليه شيء شاءه بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئا الا وهو قادر عليه وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون ومـــا لم يكن لو كان كيف يكون فقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم قدر أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون اليــه من سعـــادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته عــلى كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته اياها قبل أن تكون ٠

ولابن محمود عدة أخطاء في رسالته المردود عليهـا التي سماها الايمان بالقضاء والقدر على طريقة أهل السنة والأثر كما أشار الى ذلك الشيخ حمود جزاه الله خيرا وبارك فيه وفي علومـــه ٠

والذي نحبه لأخينا الشيخ ابن محمـود أن تكون كتاباته معالجة لمشاكل العصر ٠ والرد على فرق الضـلال المنتشرة في كل مكان ٠ كالماسونية والبهائية والشيوعية وأمثالهـــا ٠ وتحذير المسلمين من هذه الموجة الالحادية التي طار شررهـا وعظم خطرهـا دون الكتابة في الفرق بين النبي والرســـول وأمثال ذلك ٠

نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق ٠

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ٠٠٠

رئيس مجلس القضاء الأعلى

عبدالله بن محمد بن حميد

بسم اللـــه الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهـديه ، ونستغفـره ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمـدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد فقد اطلعت عـلى رسالتين للشيخ عبد الله بن زيد ابن محمود رئيس المحاكم القطرية ، سمى احداهما « الايمان بالقضاء والقدر على طريقة أهل السنة والأثر » وسمى الأخرى «اتحاف الأحفياء برسالة الأنبياء» وقد رأيت في هاتين الرسالتين عدة مواضع أخطأ فيهـا فرأيت من الواجب التنبيه عليهـا لعل الله يمن على الكاتب بالرجوع الى الصواب فان الرجوع الى الصواب نبل وفضيلة، كما أن التعصب للأخطاء نقص ورذيلة.

وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قام على المنبر فنهى الناس عن المغالاة في مهور النساء فقـامت امرأة فعارضته واحتجت عليه بآية من القرآن فرجع الى قولها وقال وهو على المنبر « ان امرأة خـاصمت عمر فخصمته » رواه ابن المنذر باسناد حسن ، ورواه الزبير بن بكار وقـال فيه فقال عمر رضي الله عنه «امرأة أصابت ورجل أخطأ» ورواه أبو يعلى الموصلي وقال فيه فقال «اللهم غفرا كل الناس افقه من عمر» قال ابن كثير اسناده جيد قوي .

ولم ينقص اعتراف عمر رضي الله عنه بالخطأ على رءوس الملأ من قدره بل زاده ذلك شرفا ورفعة . وقدثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » رواه الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وقال الترمذي هذا حديث حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي على تصحيحه .

وروى ابن عبد البر في كتاب « جامع بيان العلم وفضله » عن محمد بن كعب القرظي قال سأل رجل عليا رضي الله عنه عن مسألة فقال فيها فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال علي رضي الله عنه أصبت وأخطأت (وفوق كل ذي علم عليم) .

قال ابن عبد البر وروى سفيان بن عيينة عن ابن أبي حسين قال اختلف ابن عباس وزيد في الحائض تنفر فقال زيد لا تنفر حتى يكون آخر عهدها الطواف بالبيت فقال ابن عباس سل نسياتك أم سليمان وصويحباتها فذهب زيد فسألهن ثم جاء وهو يضحك فقال القول ما قلت .

وروى ابن عبد البر أيضا عن عبد الرحمن بن مهدي قال ذاكرت عبيد الله بن الحسن القاضي بحديث وهو يومئذ قاص فخالفني فيه فدخلت عليه وعنده الناس سماطين فقال لي ذلك الحديث كما قلت أنت وأرجع انا صاغرا .

قال ابن عبد البر وأخبرني غير واحد عن أبي محمد قاسم ابن اصبغ قال لما رحلت الى المشرق نزلت القيروان فأخذت على بكر بن حماد حديث مسدد ثم رحلت الى بغداد ولقيت الناس فلما انصرفت عدت اليه لتمام حديث مسدد فقرأت عليه فيه يوما حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قدم قوم من مضر

مجتابي النمار فقال لي انما هو مجتابي الثمار ، فقلت له انما هو مجتابي النمار هكذا قرأته على كل من قرأته عليه بالاندلس وبالعراق فقال لي بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا أو نحو هـــذا ، ثم قال لي قم بنـــا الى ذلك الشيخ لشيخ كان بالمسجد فان له بمثل هذا علما فقمنا اليـــه وسألناه عن ذلك فقال انما هو مجتابي النمار كما قلت وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم ، والنمار جمع نمرة فقال بكر ابن حماد وأخذ أنفه رغم أنفي للحق رغم أنفي للحق وانصرف .

قال ابن عبد البر وذكر الحسين بن أبي سعيد في كتابه (المعرب عن المغرب) قال حدثنا عبد الله بن سعيد بن محمد الحداد عن أبيه قال سمعت سحنون يقول سمعت عبدالرحمن ابن القاسم قال لمالك ما أعلم أحدا أعلم بالبيوع من أهل مصر فقال له مالك وبم ذلك قال بك قال فأنا لا أعرف البيوع فكيف يعرفونها بي .

قال ابن عبد البر وروينا عن الشعبي أنه قال مـــا رأيت مثلي ما أشاء أن أرى أعلم مني الا وجدته .

قال ابن عبد البر من بركة العلم وآدابه الانصاف فيـــه ومن لم ينصف لم يفهم ولم يتفهم .

وقال أيضا ومن أفضل آداب العـــالم تواضعـــه وترك الاعجاب بعلمه ونبذ حب الرياسة عنه ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله » انتهى .

وقد ذكر الشيخ محمد بن يوسف الـــكافي التونسي في كتابه « المسائل الكافية » قصة عجيبة في التواضع والاعتراف بالخطأ على رءوس الملأ وبالفضل لمن حصل منه التنبيه عـــلى الخطأ فقال ما نصـــه « المسألة السابعة والخمسون » ينبغي

لأهل الفضل أن يقدروا قدر من له قدر ويعرفوا الفضل لاهله ولا يبخسوا الناس مقاماتهم ويترفعوا عليهم بالافكوالبهتان أنظر هذه المسألة وتأمل فيها تعرف الفرق بين أهل زماننا وبين من مضى زمنهم ٠

قال العلامة ابن العربي في أحكامه ، أخبرني محمد بن قاسم العثماني غير مرة قال وصلت الفسطاط فجئت مجلس أبي الفضل الجوهري فكان مما قال أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق وظاهر وآلى فلما خرج تبعته حتى بلغ منزله في جماعة فجلس معنا في الدهليز وعرفهم غيري فانه رأى شارة الغربة فلما انفض عنه أكثرهم قال لي أراك غريبا هل لك من كلام قلت نعم قال لجلسائه أفرجوا له عن كلامه فقاموا فقلت له حضرت المجلس متبركا بك وسمعتك تقول آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقت وطلق وصدقت وظاهر ولم يكن ولا يصح أن يكون لان الظهار منكرمنالقول وزور وذلك لا يجوز أن يقع من النبي صلى الله عليه وسلم فضمني الى نفسه وقبل رأسي وقال أنا تائب من ذلك جزاك الله من معلم خيرا ، ثم انقلبت عنه وبكرت في الغد اليه فألفيته قد جلس على المنبر فلما دخلت الجامع ورآني ناداني بأعلى صوته مرحبا بمعلمي افسحوا لمعلمي فتطاولت الأعناق الي وتحدقت الأبصار نحوي ـ وتعرفني يا أبا بكر ٠ يشير الى عظيم حيائه فانه كان اذا سلم عليه أحد أو فاجأه بكلام خجل وأحمر كأن وجهه طلي بجلنار ـ قال وتبادر الناس الي يرفعونني على الأيدي ويتدافعونني حتى بلغت المنبر وأنا لعظيم الحياء لا أعلم في أي بقعة أنا والجامع غاص بأهله وأسال الحياء بدني عرقا وأقبل الشيخ على الخلق فقال لهم أنا معلمكم وهذا معلمي ، لما كان بالامس قلت لكم كذا وكذا فما كان أحد منكم فقه عني ولا رد علي فاتبعني الى منزلي وقال لي كذا وأعاد ما جرى بيني وبينه ، وأنا تائب من قولي بالأمس راجع عنه

الى الحق فمن سمعه ممن حضر فلا يعود اليه ومن غاب فليبلغه من حضر فجزاه الله خيرا وجعل يحتفل لي في الدعاء والخلق يؤمنون .

فانظروا رحمكم الله الى هذا الدين المتين والاعتراف بالعلم لاهله على رؤوس الملأ من رجل ظهرت رياسته واشتهرت نفاسته لغريب مجهول العين لا يعرف من هو ولا من أين ، واقتدوا به ترشدوا انتهى .

وما أعظم الفرق بين ما فعله أبو الفضل الجوهري مع الرجل الذي نبهه على خطئه وبين ما يفعله بعض المنتسبين الى العلم في زماننا ، فان بعضهم اذا نبهه بعض العلماء على أخطائه اشمأز وتحامل على الذي نبهه ورماه بالجهل والتعصب وغير ذلك مما يرى أنه يشينه ، ولا شك أن هذا من الكبر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكبر بطر الحق وغمط الناس » بطر الحق رده وغمط الناس احتقارهم .

ومن أعظم ما يبتلى به المرء اعجابه بنفسه وترفعه على اقرانه وبني جنسه ، قال ابن عبد البر وقال ابن عبدوس كلما توقر العالم وارتفع كان العجب اليه أسرع الا من عصمه الله بتوفيقه وطرح حب الرياسة عن نفسه .

وروى ابن عبد البر عن كعب انه قال لرجل رآه يتتبع الأحاديث : اتق الله وارض بالدون من المجلس ولا تؤذ أحدا فانه لو ملأ علمك ما بين السماء والارض مع العجب ما زادك الله به الا سفالا ونقصانا .

وروى ابن عبد البر أيضا عن عمر رضي الله عنه أنه قال « أخوف ما أخاف عليكم أن تهلكوا فيه ثلاث خلال: شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه .

وروى ابن عبد البر أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات وثلاث منجيات ، فأما المهلكات : فشح مطاع وهـــوى متبع واعجاب المرء بنفسه ، والثلاث المنجيات . تقوى الله في السر والعلانية وكلمة الحق في الرضا والسخط والاقتصادفي الغنى والفقـــر » .

قال ابن عبد البر وقـال ابراهيم بن الأشعث ســألت الفضيل بن عياض عن التواضع فقال أن تخضع للحق وتنقاد له ممن سمعته ولو كان أجهل الناس لزمك أن تقبله منه .

وروى ابن عبد البر أيضا عن مسروق أنه قال كفى بالمرء علما أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمـــه ، قال أبو عمر انما أعرفه بعمله ، قال وقال أبو الدرداء علامة الجهل ثلاث : العجب وكثرة المنطق فيمـــا لا يعنيه وأن ينهى عن الشيء ويأتيه. وقالوا العجب يهدم المحاسن،وعن علي رضي الله عنه أنه قال الاعجاب آفة الألباب ، وقال غيره اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله ، ولقد أحسن علي بن ثابت حيث يقـــول :

المـــال آفتـــه التبذير والنهب
والعلم آفتـــة الاعجاب والغضب

وقالوا من أعجب برأيه ضـــل ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن خـــالط الأنذال حقر ، ومن جالس العلماء وقـــر .

وقال الفضيل بن عياض مامن أحد أحبالرياسة الا حسد وبغى وتبع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير ، وقال أبو نعيم والله ما هلك من هلك الا بحب الرياسة ، وقال آخر :

حب الرياســة داء لا دواء لـــه
وقل ما تجـد الراضين بالقسم

وروى ابن عبد البر أيضا عن ابن مسعود رضي اللـــه عنه أنه قال « ان من العلم أن تقول لما لا نعلم الله أعلم قال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل ما اسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) ٠

وروى أيضا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال « أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير عـــلم » ٠

وروى أيضا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نحوه٠

وروى أيضا عن نافع عن ابن عمر رضي اللـــه عنهما أنه سئل عن شيء فقال لا أ دري فلمـــا ولى الرجل قال نعما قال عبد الله بن عمر سئل عما لا يعلم فقال لا علم لي به ، قال وقال ابن وهب سمعت مالكا يحدث عن عبد الله بن زيد بن هرمز قال اني لأحب أن يكون من بقايا العالم بعده لا أدري ليأخذ به من بعـــده ٠

وروى أيضاعن مجاهد قال سئل ابن عمر رضي اللهعنهما عن فريضة من الصلب فقال لا أدري فقيل له مـــا يمنعك أن تجيبه فقال سئل ابن عمر عما لا يدري فقال لا أدري ٠

وروى أيضا عن أيوب قال : تكاثروا على القاسم بن محمد يوما بمنى فجعلوا يسألونه فيقول لا أدري ثم قال انا واللـــه ما نعلم كل ما يسألونا عنه ولو علمنا ما كتمناكم ولا حل لنـــا أن نكتمكم ٠

وروى أيضا عن عبدالملك بن أبي سليمان قال سئل سعيد ابن جبير عن شيء فقال لا أعلم ثم قال ويل للذي يقول لما لا يعلم اني أعلم ٠

قال وذكر الشعبي عن علي رضي الله عنه أنه خرج عليهم وهو يقول ما أبردها على الكبد فقيل له وما ذلك قال أن تقول للشيىء لا تعلمه الله أعلم ·

قال وذكر الحسن بن علي الحلواني وساق باسناده عن القاسم قال يا أهل العراق انا والله لا نعلم كثيرا مما تسألونا عنه ولأن يعيش المرء جاهلا لا يعلم ما افترض عليه خير له من أن يقول على الله ورسوله مالا يعلم ·

قال وقال الحسن حدثنا نعيم بن حماد قال سمعت بعض أصحاب ابن عون أظنه حسين بن حسين عن ابن عون قال كنت عند القاسم بن محمد اذ جاءه رجل فسأله عن شيء فقال القاسم لا أحسنه فجعل الرجل يقول اني دفعت اليك لا أعرف غيرك فقال القاسم لا تنظر الى طول لحيتي وكثرة الناس حولي والله ما أحسنه فقال شيخ من قريش جالس الى جنبه يا ابن أخي الزمها فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم فقال القاسم والله لأن يقطع لساني أحب الي من أن أتكلم بما لا علم لي به·

وروى أيضا عن مالك قال سأل عبد الله بن نافع أيوب السختياني عن شيء فلم يجبه فقال له لا أراك فهمت ما سألتك عنه قال بلى قال فلم لا تجيبني قال لا أعلمه ·

وروى أيضا عن عبد الرحمن بن مهدي قال كنا عند مالك ابن أنس فجاءه رجل فقال له يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر حملني أهل بلدي مسألة أسألك عنها قال فسل فسأله الرجل عن المسألة فقال لا أحسنها قال فبهت الرجل كأنه قد جاء الى من يعلم كل شيء فقال أي شيء أقول لأهل بلدي اذا رجعت اليهم قال تقول لهم قال مالك لا أحسن ·

قال وذكر ابن وهب في كتاب المجالس قال سمعت مالكا يقول ينبغي للعالم أن يألف فيما أشكل قول لا أدري فانه عسى

أن يهيأ له خير ، قال ابن وهب وكنت أسمعه كثيرا ما يقول لا أدري ، وقال في موضع آخر لو كتبنا عن مـالك لا أدري لملأنا الألواح ، قال ابن وهب وسمعت مالكا وذكر قول القاسم بن محمد لأن يعيش الرجل جاهلا خير من أن يقول على الله مـــالا يعلم ثم قال هذا أبو بكر الصديق وقد خصه الله بما خصه به من الفضل يقول لا أدري ٠

قال ابن وهب وحدثني مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم امام المسلمين وسيد العالمين يسئل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي ٠ وذكر عبد الرحمن بن مهـــدي عن مالك بعض هذا ، وفي روايته هذه الملائكة قد قالت(لا علم لنا)

قال وذكر أبو داود في تصنيفه لحديث مالك حدثنا عباس العنبري قال حدثنا عبد الرزاق قال قال مالك كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول اذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله، وفي رواية اذا ترك العالم لا أعلم فقد أصيبت مقاتله ٠

قال وحدثنا أحمد بن حنبل قال حدثنا محمد بن ادريس قال سمعت مالكا يقول سمعت ابن عجلان يقول اذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله ٠

وروى ابن عبد البر عن عقبة بن مسلم قـال صحبت ابن عمر رضي الله عنهما أربعة وثلاثين شهرا فكان كثيرا ما يسئل فيقول لا أدري ثم يلتفت الي فيقول أتدري ما يريد هـــؤلاء ، يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسرا الى جهنم ٠

قال وقال أبو الدرداء رضي الله عنه قول الرجل فيمـا لا يعلم لا أعلم نصف العلم ٠

وقال الراجز :

فان جهلت مـا سئلت عنــه
ولم يكن عندك عـلم منـه
فـلا تقل فيـه بغير فهـم
ان الخطأ مزر بأهـل العلم
وقل اذا أعياك ذاك الأمـر
مالي بمـا تسأل عنـه خبر
فذاك شطر العلم عند العلما
كذاك ما زالت تقول الحكمـا

وقال غيره :

اذا ما قتلت الأمر علما فقل به
واياك والأمر الذي أنت جاهله

وروى أيضـا عن أبي الذيال قال تعلم لا أدري ولا تعلم أدري فانك ان قلت لا أدري علموك حتى تدري وان قلت أدري سألوك حتى لا تدري .

وروى أيضـا عن الاعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال « ان من يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون » قال الاعمش فذكرت ذلك للحكم بن عتيبة فقال لو سمعت هذا منك قبل اليوم ما كنت أفتي في كل ما أفتي .

وروى أيضا عن نعيم بن حماد قال سمعت ابن عيينة يقول أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما .

وروى أيضا عن يزيد بن أبي حبيب قال ان من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع ، قال وفي الاستمـاع سلامة وزيادة في العلم والمستمع شريك المتكلم ، وفي الـكلام

توهن وتزين وزيادة ونقصان ، قال ومن العلماء من يرى أنه أحق بالكلام من غيره ومنهم من يزدري المساكين ولا يراهم لذلك موضعا ، ومنهم من يخزن علمه ويرى أن تعليمه ضعة ، ومنهم من يحب أن لا يوجد العلم الا عنده ، ومنهم من يأخذ في علمه مأخذ السلطان حتى يغضب أن يرد عليه شيء من قوله أو يغفل عن شيء من حقه،ومنهم من ينصب نفسه للفتيا فلعله يؤتى بأمر لا علم له به فيستحي أن يقول لا علم لي فيرجم فيكتب من المتكلفين ، ومنهم من يروي كل ما سمع حتى يروي كلام اليهود والنصارى ارادة أن يغزر علمه ٠

قال أبو عمر روي مثل قول يزيد بن ابي حبيب هذا كله من أوله الى آخره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه من وجوه منقطعة يذم فيها كل من كان في هذه الطبقات من العلماء ويتوعدهم على ذلك بالنار انتهى ما ذكره ابن عبد البر ملخصا ٠

فليتأمل ما ذكره عن أهل الورع من الاحجام عن القول بغير علم ، والابتعاد عن التكلف الذي قد وقع فيه كثير من الناس في زماننا حتى آل الأمر ببعضهم الى قبول البدع والضلالات ، والاكثار من التخرصات والجهالات ، ومخالفة أهل السنة والجماعة في بعض المعتقدات ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل ٠

(فصـــل)

وقد جعلت التنبيهات على رسالتي ابن محمود في فصلين، الأول فيما يتعلق بالقضاء والقـدر ، والثاني فيمـــا يتعلق بالرسالة والنبوة ، فأما ما يتعلق بالقضاء والقدر فالتنبيـه عليه يتلخص في خمسة أشياء : الأول في بيانه لمعنى القضـاء والقدر ، والثاني في تغليطه للمفسرين الذين قـــالوا في قول الله تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) انها نزلت في القضـاء والقدر ، والثالث في نفيه لكتابة المقادير وزعمه أنها عبارة عن سبق علم الله ، والرابع في زعمه أن الحـــديث في احتجاج آدم وموسى من مشكل الآثار ، والخامس في تخليطه في الكلام عـلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه في كتابة ما يتعلق بالجنين وهو في بطن أمه .

فأما الأول فقال في صفحة ٩ ما ملخصه :

« حقيقة القدر » ونحن وان قلنا ان القدر يرجع الى تقدير الله للأشياء بنظام وانه يرجع الى قدرة الله وانه على كل شيء قدير وفعال لما يريد ، أو أنه يرجع الى سبق علم الله بالأشياء قبل وقوعها وانه يعلم ما كان ومـــا سيكون كيف يكون فكل هذه من الصفات الداخلة في قدر اللـه . وحسب الشخص أن يؤمن بكل ما أخبر الله به من صنع خلقه وسبق علمه بكل شيء وانه على كل شيء قدير وفعال لما يريد ، ولما سئل الامام أحمد عن القدر أجاب قائلا « القدر قدرة الرحمن » .

وأقول أما القدر الذي جـاء ذكره في سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وفي غيره من الاحاديث التي يذكر فيهـــا

وجوب الايمان بالقدر وانه ركن من أركان الايمان فالمراد به ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته وفرغ من كتابته قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وقد جاء ذلك في أحاديث كثيرة ، منها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة » رواه الامام أحمد والترمذي وعبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب ، وقد رواه مسلم في صحيحه ولفظه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء » .

ورواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة باسناد صحيح ولفظه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « فرغ الله عز وجل من مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » ، ورواه أيضا بنحو رواية مسلم واسناده صحيح أيضا .

وروى الامام أحمد ومسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل قال « لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » قال ففيم العمل فقال « اعملوا فكل ميسر » وقد رواه أبو داود الطيالسي وابن حبان في صحيحه وعبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة بنحوه ، وزاد ابن حبان قال سراقة فلا أكون أبدا أشد اجتهادا في العمل مني الآن .

وروى الامام أحمد أيضا باسناد صحيح عن عمـران بن حصين رضي الله عنهما أن رجـلا من جهينة أو من مزينة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضي عليهم ومضى عليهم في قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم واتخذت عليهم به الحجة قال «بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم» قال فلم يعملون اذا يا رسول الله قال «من كان الله عز وجل خلقه لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (ونفس وما سواها ، فألهمهـا فجورها وتقواهـا) » وقد رواه أبو داود الطيالسي باسناد صحيح ومسلم بنحوه وفيـه عند مسلم قصـة لابي الاسود الدئلي مع عمران بن حصين رضي الله عنهما وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى .

وروى الامام أحمد أيضا وأبو داود من حديث ابن عمـر رضي الله عنهما نحوه .

قال شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية رحمه الله تعالى في تفسير سورة (والشمس وضحاها) بعد ايراده لحـديث عمران بن حصين رضي الله عنهما ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن تصديق ما أخبر به من القضـاء قوله (فألهمهـا فجورها وتقواها) والذي في الحديث هو القدر السابق من علم الله وكتابه وكلامه ، وهذا انما تنكره غالية القدرية . وأمـا الذي في القرآن فهو خلق الله أفعال العباد وهذا أبلغ فـان القدرية المجوسية تنكره ، فالذي في القرآن يدل على مـا في الحديث وزيادة ولهذا جعله النبي صلى الله عليه وسلم مصدقا له انتهى المقصود من كلامه رحمه الله تعالى صفحة ٢٣٢ ج ١٦ مجموع الفتاوي .

وروى الامام أحمد أيضا والطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه» قال الهيثمي رجاله ثقات.

وروى الطبراني أيضا عن أبي الاسود الدؤلي أنه سأل عمران بن حصين وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب عن القدر فقال اني قد خاصمت أهل القدر حتى أحرجوني فهل عندكم من علم فتحدثوني فقالوا «لو أن الله عز وجل عذب أهل السماء والارض عذبهم وهو غير ظالم ولو أدخلهم في رحمته كانت رحمته أوسع من ذنوبهم ولكنه كما قضى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فمن عذب فهو الحق ومن رحم فهو الحق ولو كان لك مثل أحد ذهبا تنفقه في سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره» ثم قال عمران لابي الأسود حين حدثه الحديث سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعه معي عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ وأبي بن كعب فسألهما أبو الاسود فحدثاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الهيثمي رواه الطبراني باسنادين ورجال هذه الطريق ثقات.

وروى الترمذي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وان ما أخطأه لم يكن ليصيبه» قال الترمذي هذا حديث غريب، قال وفي الباب عن عبادة وجابر وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

وروى الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه واللفظ له عن ابن الديلمي قال وقع في نفسي شيء من هذا القدر خشيت أن يفسد علي ديني وأمري فأتيت أبي بن كعب فقلت أبا المنذر انه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر فخشيت على ديني

وأمري فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني به فقال « لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو كان لك مثل جبل أحد ذهبا تنفقه في سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وان ما أخطأك لم يكن ليصيبك وانك ان مت على غير هذا دخلت النار » ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود فتسأله فأتيت عبدالله فسألته فذكر مثل ماقال أبي وقال لي ولا عليك أن تأتي حذيفة فأتيت حذيفة فسألته فقال مثل ما قالا وقال ائت زيد بن ثابت فاسأله فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو كان لك مثل أحد ذهبا أو مثل جبل أحد ذهبا تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله فتعلم أن ماأصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وانك ان مت على غير هذا دخلت النار » وقد رواه ابن حبان في صحيحه مختصرا ٠

وسيأتي نحو ذلك في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ٠

وروى مالك في الموطأ وأحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وعبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة والبغوي في تفسيره عن طاوس أنه قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون « كل شيء بقدر » قال وسمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » ٠

وروى البخاري في تاريخه وأبو بكر الآجري باسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك » ·

وروى عبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ذكر عنده القدر يوما فأدخل أصبعيه السبابة والوسطى في فيه وأخذ بهما من ريقه فرفم بهما في ذراعه ثم قال « أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا في أم الكتاب » ·

وسيأتي ذكر الأحاديث في القلم الذي كتبت به المقادير في التنبيه الثالث ان شاء الله تعالى ·

ومما تقدم ذكره من الأحاديث وما سيأتي في التنبيه الثالث يعلم مافي تعريف ابن محمود لحقيقة القدر من التخليط بالنقص والزيادة ، فأما النقص ففي أعراضه عن اثبات كتابة المقادير في اللوح المحفوظ ، وهذا في الحقيقة اعراض عن الايمان ببعض مراتب القدر اذ لابد في الايمان به من الايمان بعلم الله تعالى بجميع الكائنات بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا ، ثم كتابته لها في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وسيأتي ذكر الأدلة على ذلك قريبا ان شاء الله تعالى وبيان أن من لم يؤمن بكتابة القدر في اللوح المحفوظ فقد وافق غلاة القدرية ·

وأما الزيادة ففي قوله ان القدر يرجع الى تقدير الله للاشياء بنظام واتقان، وقوله أيضا وحسب الشخص أن يؤمن بكل ما أخبر الله به من صنع خلقه ·

فلم يفرق بين صنع المخلوقات بنظام واتقان وبين تقدير المقادير وكتابتها قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وجعل الجميع شيئا واحدا ، وهذا في الحقيقة تخليط وتلبيس ·

وأما الايمان بأن الله على كل شيء قدير وفعال لما يريد وانه يعلم ما كان وما سيكون كيف يكون فهو من الايمان بالقدر ولكن لا يكفي عن الايمان بتقدير الله لجميع الأشياء وكتابته لها في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة فالكل يجب الايمان به ٠

وكذلك الايمان بما أخبر الله به من صنع خلقه وتقديره للاشياء بنظام واتقان هو من الايمان بان الله تعالى هو الخالق الذي أوجد جميع الكائنات وأتقنها ولا يكفي الايمان بذلك عن الايمان بكتابة المقادير قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ٠

وقد كان مشركو قريش مقرين بأن الله تعالى هو الخالق لجميع الأشياء كما أخبر الله بذلك عنهم في قوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وقال تعالى (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) الى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى ٠ وكانوا مع ايمانهم بان الله تعالى هو الخالق لجميع الأشياء يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر كما سيأتي بيان ذلك في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد توعدهم الله على تكذيبهم بالقدر بأنهم سيسحبون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر ، ولم ينفعهم ايمانهم بالخلق واتقان الاشياء وتنظيمها عن الايمان بالقدر السابق ٠

وأما قول الامام أحمد رحمه الله تعالى « القدر قدرة الله » فمعناه أن تقدير الرب تبارك وتعالى لكل ما هو كائن قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ثم ايجاده للكائنات على وفق ما قدره وقضاه يدل على قدرته العظيمة ، فمن أثبت

قضاء الله وقدره السابق فقد أثبت قدرة الله ومن أنكر قضاء الله وقدره السابق فقد أنكر قدرة الله، فهذا معنى قول الامام أحمد رحمه الله تعالى القدر قدرة الله .

قال شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية رحمه الله تعالى في رسالة الاحتجاج بالقدر ، والقدر هو قدرة الله كما قال الامام أحمد وهو المقدر لكل ما هو كائن انتهى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه « شفاء العليل » وقال الامام أحمد القدر قدرة الله واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا وقال هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين ، وهو كما قال أبو الوفاء فان انكار القدر انكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد وكتابتها وتقديرها،وسلف القدرية كانوا ينكرون علمه بها وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم انتهى .

وقد أورد ابن محمود في الصفحة التي أشرنا اليها قول الشاعر :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

ونسبه لزهير وقد غلط في ذلك فان هذا البيت لابنه كعب ابن زهير رضي الله عنه ولا خلاف في ذلك عند أهل السير والاخبار ، وقد ذكروا مع هذا البيت بيتين وهما :

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها
فالنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل
لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

وقد صرح كعب رضي الله عنه في هذه الأبيات الحسان بالايمان بالقدر وان المرء قد يسعى في الأمور فلا يدركها لانها

لم تقدر له ، وهذا كما قال الله تعالى (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك » .

وقال ابن محمود في صفحة ١١ و ١٢ و ١٣ ما ملخصه :

ان القدر يدل بمنطوقه ومفهومه على قدرة الرب سبحانه وعلى تقديره للاشياء بنظام واتقان واحكام ، وكل من تتبع نصوص القرآن يجدها تدور على هذا البيان ، فالقضاء في سائر استعمالاته هو بمعنى الفراغ من الشيء ، فالقضاء والقدر معناهما أن الله سبحانه قد أوجد هذا العالم مقدرا بمقادير متقنة مضبوطة محكومة بسنن لا تقبل التغيير ولا التبديل وانه قد فرغ من ذلك فراغا لا يعقبه تعديل ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص (صنع الله الذي أتقن كل شيء) .

يقول الله (وخلق كل شيىء فقدره تقديرا) أي جعله ذا مقادير منظمة متقنة محكمة كقوله (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) ومنه قوله (انا كل شيىء خلقناه بقدر) أي بتقدير ونظام متقن كل شيء بحسبه فلم يخلق شيئا بطريق الصدفة ولا الطبيعة ، ونظير هذه الآية قوله (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) أي بقدر حاجة الناس ليس بالكثير المنهمر المستمر فيهلك حرثهم ومواشيهم ولا قطعة واحدة فيضر البنيان ، ونظيره قوله (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير) ، وقوله (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) هو نظير قوله (انا كل شيىء خلقناه بقدر) لفظا ومعنى ، وهو يرجع الى قوله (وخلق كل شيىء فقدره تقديرا) أي جعله ذا مقادير متناسبة ثابتة (صنع الله الذي أتقن كل شيىء) ، نظيره قوله (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) أي جعلناه ذا مقادير ينزل كل

ليلة منزلة منها لا يتخطاها ولا يقصر عنها ، ومنه قوله (ثم جئت على قدر يا موسى) أي على موعد قدرنا مجيئك فيــــه ، ومثله قوله (ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين ، الى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القــــادرون) وقرىء قــــدرنا بالتشديد ، أي قدرنا ذلك تقديراً متقنا فنعم القــــادرون ، وقرىء بالتخفيف من القدرة أي قدرنا علي خلقه وتصويره في أحسن صورة فنعم القادرون ، فهذا حفيقة القدر المذكور في القرآن ، ومنه قول الشاعر :

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها

فمن عـــلا زلقا عن غرة زلجـــا

وأما القضاء فانه الفراغ من صنع هذه المخلوقات وقــــد اجتمعا في قوله تعالى (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيهـــا رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعــــة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين، فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرهـــا وزينـــا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقــدير العزيز العليم) فذكر القضاء في قوله(فقضاهن سبع سموات)كما ذكر القدر في قوله(وقدر فيها أقواتها ، ذلك تقدير العزيز العليم) فهذا معنى حقيقة القضاء والقدر وانه خلق الاشياء بنظام واتقان ثابت لا يتغير بتغير الزمان كل شيء بحسبه ، وهـــذا معنى ما في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض» وهذه الكتابة هي عبارة عن العلم القائم بذات الله وهو معنى قــول أحدنا ، قدر الله وما شاء فعل ، قدر الله أي وسابق علم الله.

هذا كلام ابن محمود في القضاء والقدر وقد صرح أن معناهما ايجاد هذا العالم مقدرا بمقادير متقنة مضبوطة محكومة بسنن لا تقبل التغيير ولا التبديل وأن الله قد فرغ من ذلك فراغا لا يعقبه تعديل ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص (صنع الله الذي أتقن كل شيء)،وكلامه على الآيات التي تقدم ذكرها كله من باب واحد وهو أن القضاء والقدر معناهما خلق الأشياء بنظام واتقان ثابت لا يتغير بتغير الزمان كل شيء بحسبه • وقد صرح أيضا في أول صفحة ١٣ أن القضاء هو الفراغ من صنع هذه المخلوقات وأن القدر هو ما ذكر في قوله (وقدر فيها أقواتها) وفي قوله (ذلك تقدير العزيز العليم) ثم قال فهذا معنى حقيقة القضاء والقدر وانه خلق الأشياء بنظام واتقان ثابت لا يتغير بتغير الزمان كل شيء بحسبه •

وأقول أن كلام ابن محمود الذي ذكرنا ليس فيه ايمان بالقضاء والقدر على طريقة أهل السنة والأثر وانما فيه الايمان بخلق الله للأشياء بنظام واتقان ثابت لا يتغير •

وهذا القول موافق لقول الكافر القصيمي في أغلاله فانه قال في صفحة ٢٥٢ من كتابه الأغلال ما نصه « وقوله (فقضاهن سبع سموات) ، القضاء هنا هو القضاء الذي يقرن مع القدر » •

قال الشيخ عبد الله بن علي بن يابس رحمه الله تعالى في الرد عليه :

الجواب : كلا ، فان القضاء ههنا هو التمام والفراغ ولا معنى لأن يكون هو الكتابة •

ثم قال الملحد الخبيث في صفحة ٢٥٣ ما نصه « واذا فالأقدار هي النظام » •

قال الشيخ عبد الله بن علي بن يابس رحمه اللـه تعالى في الرد عليه :

الجواب : أنه يرى أن القـــدر الذي هو ركن من أركان الايمان هو النظام وهذا مخـــالف للأديان وللكتاب والسنة والاجماع فان القدر هو تقدير الله للأشياء قبل وجودهـــا ، وهذا ما يعرفه المسلمون انتهى .

وليعلم المطلع على كلام ابن محمود الذي تقـــدم ذكره في تعريف القضاء والقدر أن ابن محمود قد اعتمد على كلام عدو الله القصيمي في كتابه الأغلال ونقل بعصـــه بالنص وبعضه ببعض التصـــرف ، وأنا أذكر ههنا ملخص كلام القصيمي لتعرف مطابقته لكلام ابن محمود :

قال القصيمي في صفحة ٢٤٧ من كتابه الاغلال ما نصه: « أما القدر فهو في مادته مأخوذ من التقدير أي جعل الشيىء ذا مقادير أي ذا حدود يقال هذا الشيىء قدر هذا أي محدود بحدوده » .

ثم استدل القصيمي بآيات من القرآن منها قوله تعـــالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) وقوله تعــــالى (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) وقوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) ، وقـــد استدل ابن محمود بهذه الآيات الثلاث على نحـــو ما قالـــه القصيمي فقال في قوله تعالى (انا كل شيىء خلقناه بقـــدر) أي بتقدير ونظام متقن كل شيىء بحسبه وقال في قوله تعالى (وخلق كل شيىء فقدره تقديرا) أي جعله ذا مقادير منظمة متقنة محكمة . وقال في قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) أي جعلناه ذا مقادير ، ثم قال بعد سياقه لهذه الآيات وغيرها ما نصه «فهذا حقيقة القدر المذكور في القرآن»وقال القصيمي في أول كلامه « أما القدر فهو في مادته مأخوذ من التقدير أي

جعل الشيء ذا مقادير » فانظر الى مطابقة كلام ابن محمود لكلام القصيمي • وقد استشهد القصيمي على ما ذهب اليه بقول الشاعر :

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها
فمن علا زلقا عن غرة زلجا

وقد استشهد به ابن محمود تبعا للقصيمي •

وقال القصيمي أيضا في صفحة ٢٤٩ من كتاب الأغلال ما نصه « فالقدر بجملته وجملة استعمالاته يراد به التقدير أي جعل الشيء ذا مقادير معلومة ، أي يراد به جعل الشيء منظما في كمه وكيفه ، فقدر الله معناه أن الله جلت قدرته قد أوجد هذا الوجود ، السماويات منه والارضيات مقدرا بمقادير محكمة — الى أن قال — ولهذا جاء هذا العالم منظما صالحا للانتفاع وللحياة وللاستقرار فيه وعليه » •

وقد استدل القصيمي في صفحة ٢٥٠ من كتاب الأغلال على ما ذهب اليه في معنى القدر بقول الله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) وقد استدل بها ابن محمود تبعا للقصيمي •

واستدل القصيمي أيضا في صفحة ٢٥١من كتاب الأغلال بقول الله تعالى (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) ، ثم قال ما نصه « فقوله (وقدر فيها أقواتها) وقوله (ذلك تقدير العزيز العليم) يراد به القدر الذي ضل فيه الناس

وصيروه عامل ركود وانحطاط مع أنه هو القـــوة والوثوب والنشاط » .

وقال في صفحة ٢٥٩ من كتاب الأغلال ما نصه « فالقضاء والقدر معناهما أن الله قد أوجد هذا العالم مقدرا بمقـادير مضبوطة محكوما بسنن لا تقبل التغيير وانه تعالى قـد فرغ من ذلك فراغا لا يعقبه تبديل ولا تعديل ولا زيادة أو نقصان» وقد نقل ابن محمود هذا الكلام بعينه في تعريفـه للقضـــاء والقدر كما تقدم ذكره في أول كلامه .

ومن جعل أقوال عدو الله القصيمي وأمثاله من الزنادقة عمدة له في باب القضاء والقـــدر فغير مستبعد منه أن يتأثر بهم فيما سوى ذلك من أقوالهم الباطلة وآرائهم الفـاسدة ، نعوذ بالله من زيغ القلوب وانتكاسها ، وقـــد قال الشاعر وأحسن فيما قال :

ومن يكن الغـــراب لـه دليلا
يمـــر به على جيف الـــكلاب

وقـد رد الشيخ ابراهيم بن عبد العزيز السويح رحمـه الله تعالى على صاحب الأغلال ردا وافيا في كتابه « بيان الهدى من الضلال ، في الرد على صاحب الأغلال » فليراجع فانه مهم جدا ، وكذلك قد رد عليه الشيخ عبد الله بن علي بن يابس والشيخ محمد عبد الرزاق حمـــزه والشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ورده مختصر جدا ، وكل منهم قد أجاد وأفاد رحمهم الله تعالى .

واذا علم ما ذكرنا من انحراف ابن محمود في باب القضاء والقدر فليعلم أيضا أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالى قدر مقادير الخـلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة كما جـــاء ذلك في الحـديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى اللـه عليه وسلم ، وقد تقدم ذكره قريبا .

ويؤمنون أن الله تعالى أوجد الخلائق بعد كتابة المقادير بخمسين ألف سنة على وفق ما قدره وقضاه وكتبه في اللوح المحفوظ ــ وهو أم الكتاب ــ وكذلك كل كائن الى يوم القيامة فهو مما قدره وقضاه وكتبه في اللوح المحفوظ .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه « شفاء العليل » في الكلام على قول الله تعالى (حم.والكتاب المبين ، انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . وانه في أم الكتاب لدينـا لعلي حكيم) قال ابن عباس رضي اللـه عنهما في اللوح المحفوظ المقري عندنا،قال مقاتل ان نسخته في أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ . وأم الكتاب أصل الكتاب ، وأم كل شيىء أصله. والقرآن كتبه اللـه في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى (بل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ)

وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن الى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب وقد دل القرآن على أن الرب تعـالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله ، فكتب في اللوح أفعاله وكلامه ، فتبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب انتهى .

وقال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه اللـه تعالى في « العقيدة الواسطية » وتؤمن الفرقـة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره ، والايمان بالقدر عـلى درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الأولى الايمان بان الله تعالى علم ماالخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به ازلا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ثم كتب اللـه في اللوح المحفوظ مقادير الخلق . فأول ما خلق الله القلم قال له أكتب قال ما أكتب ، قال أكتب ما هو كائن الى يوم القيامة ،

فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه وتعالى (ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) وقال (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) ·

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء ، واذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث اليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقال له أكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ونحو ذلك ، فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ومنكروه اليوم قليل ·

وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الايمان بان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وانه ما في السموات والارض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه مالا يريد ، وانه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات ، فما من مخلوق في الارض ولا في السماء الا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه ، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته ·

وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد ·

والعباد فاعلون حقيقة والله خالقهم وخالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم ارادة والله خالقهم وخالق

قدرتهم وارادتهم كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة،ويغلو فيها قوم من أهل الاثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها انتهى ٠

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى في كتابه « جامع العلوم والحكم » الايمان بالقدر على درجتين احداهما الايمان بان الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وايجادهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من هل النار ، وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لاعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم ، وانه كتب ذلك عنده وأحصاه وان أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه ٠

والدرجة الثانية أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والايمان والطاعة والعصيان وشاءها منهم ، فهذه الدرجة يثبتها أهل السنة والجماعة وتنكرها القدرية،والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية ونفاها غلاتهم كمعبد الجهني الذي سئل ابن عمر عن مقالته وكعمرو بن عبيد وغيره ، وقد قال كثير من أئمة السلف ناظروا القدرية بالعلم فان أقروا به خصموا وان جحدوا فقد كفروا ، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد وان الله تعالى قسمهم قبل خلقهم الى شقي وسعيد وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ فقد كذب بالقرآن فيكفر بذلك ، وان أقروا بذلك وأنكروا أن الله خلق أفعال العباد وشاءها وأرادها منهم ارادة كونية قدرية فقد خصموا لان ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه ، وفي تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء ، وأما من أنكر العلم القديم فنص الشافعي وأحمد على تكفيره وكذلك غيرهما من أئمة الاسلام انتهى ٠

وأما قول ابن محمود في بيان معنى حقيقة القضاء والقدر أنه خلق الأشياء بنظام واتقان ثابت لا يتغير بتغير الزمان كل شيىء بحسبه ، وان هذا معنى ما في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض » .

ففيه خطأ من وجهين أحدهما في نسبته الحديث الى الصحيحين وانما هو من أفراد مسلم ولم يخرجه البخاري .

الثاني زعمه أن خلق الأشياء بنظام واتقان ثابت هو معنى كتابة المقادير ، وهذا يقتضي أن تكون كتابة المقادير وخلق الأشياء شيئا واحدا ، ولا يخفى ما في هذا القول من الغاء نص الحديث على أن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وفي هذا النص الصريح أبلغ رد على ما زعمه ابن محمود في بيان معنى حقيقة القضاء والقدر انه خلق الأشياء بنظام واتقان ثابت .

وأما قوله أن هذه الكتابة عبارة عن العلم القائم بذات الله ، فهو خطأ ظاهر وسيأتي بيان ذلك في التنبيه الثالث ان شاء الله تعالى .

التنبيه الثاني : قال ابن محمود في صفحة ١٢ ما نصه :
ومنه قوله (انا كل شيىء خلقناه بقدر) أي بتقدير ونظام متقن ، كل شيىء بحسبه فلم يخلق شيئا بطريق الصدفة ولا الطبيعة ، قال ابن جرير في التفسير ، انا كل شيىء خلقناه بمقدار قدرناه وقضيناه ، وبعض المفسرين يغلطون في تفسير هذه الآية حيث يحملون تفسيرها على القضاء والقدر ثم يتوسعون في سياق الآثار الواردة في القضاء والقدر كأن الآية سيقت لذلك وهو خطأ فانه لا تعلق للآية بالقضاء والقدر الذي يعنونه .

وأقول قد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جـــاء مشركو قريش يخاصمون رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقـــوا مس سقر،انا كل شيء خلقناه بقدر)رواه الامام أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن جرير وعبد الله بن الامام أحمـــد في كتاب السنة والبغوي في تفسيره وقال الترمذي هذا حديث صحيح .

قال النووي في شرح مسلم المراد بالقدر هنـــا القـــدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته ، وفي هذه الآية الكريمة والحديث تصريح باثبات القدر وانه عام في كل شيء فكل ذلك مقدر في الأزل معلوم للـــه مراد له انتهى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «شفاء العليل» والمخاصمون في القدر نوعان أحدهما من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لـــو شـــاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، والثاني من ينكر قضاءه وقدره السابق،والطائفتان خصماء الله ، قال عوف من كذب بالقدر فقد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر أقدارا وخلق الخلق بقـــدر وقسم الآجال بقـــدر وقسم الأرزاق بقدر وقسم البلاء بقـــدر وقسم العافية بقدر وأمر ونهى انتهى .

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن أنه قال من كذب بالقدر فقد كذب بالحق خلق الله خلقا وأجل أجلا وقدر رزقا وقـــدر مصيبة وقدر بلاء وقـــدر عافية فمن كفر بالقدر فقـــد كفر بالقـــرآن .

وروى ابن أبي حاتم أيضا باسناد حسن عن عطاء بن أبي رباح قال أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقـــد ابتلت

أسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في القدر فقال أو قد فعلوها قلت نعم قال فوالله ما نزلت هذه الآية الا فيهم (ذوقوا مس سقر ، انا كل شيىء خلقناه بقدر) أولئك شرار هذه الأمة فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم ، ان رأيت أحدا منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين ، ورواه ابن المنذر وابن مردويه بنحوه ذكره السيوطي في الدر المنثور ٠

قال وأخرج الطبراني وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآية في القدرية (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ، انا كل شيىء خلقناه بقدر) ٠

قال وأخرج البزار وابن المنذر بسند جيد من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال ما انزلت هذه الآية (ان المجرمين في ضلال وسعر ، يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ، اناكل شيىء خلقناه بقدر) الا في أهل القدر ٠

قال وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وابن شاهين وابن منده والخطيب في تالي التلخيص وابن عساكر عن زرارة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه تلا هذه الآية (ذوقوا مس سقر ، اناكل شيىء خلقناه بقدر) قال في اناس من أمتي في آخر الزمان يكذبون بقدر الله » ٠

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول « اني أجد في كتاب الله قوما يسحبون في النار على وجوههم يقال لهم ذوقوا مس سقر لانهم كانوا يكذبون بالقدر واني لا أراهم فلا أدري أشيىء كان قبلنا أم شيىء فيما بقي » ٠

وروى عبد الله بن الامام أحمـد في كتاب السنة باسناد حسن عن محمد بن كعب القرظي قال نزلت هذه الآية (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقـوا مس سقر ، انا كل شيىء خلقناه بقدر) في أهل القدر ، وفي رواية قـال نزلت تعييرا لاهل القدر (انا كل شيىء خلقناه بقدر) وقـد رواه ابن جرير وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعـة من طرق عن محمد بن كعب القرظي .

وروى ابن جرير أيضا باسناد صحيح على شرط الشيخين عن أبي عبدالرحمن السلمي قال لما نزلت هـذه الآية (انا كل شيىء خلقناه بقدر) قال رجل يا رسول الله ففيم العمل أفي شيىء نستأنفه أو في شيىء قد فرغ منه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، سنيسره لليسرى ، وسنيسره للعسرى » .

قال ابن جرير وقوله (انا كل شيىء خلقناه بقدر) يقول تعالى ذكره انا خلقنا كل شيىء بمقدار قدرناه وقضيناه، وفي هذا بيان أن الله جل ثناؤه توعد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم بالقدر مع كفرهم به ، وبنحو الذي قلنـا في ذلك قال أهل التأويل ، ثم ساق الأحاديث الواردة في ذلك ، وقـد اختصر ابن محمود كلام ابن جرير ليوهم أنه موافق لقوله في القدر.

وقال الرازي في تفسيره أكثر المفسرين اتفقوا على أنهـا نازلة في القدرية انتهى .

وقال الزجاج معنى (بقدر) أي كل شيء خلقناه بقـدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه ، ذكره ابن الجـوزي في تفسيره .

وقال البغوي في تفسيره قوله تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) أي ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ انتهى

وقال ابن كثير في الكلام على قوله تعالى (انـا كل شيىء خلقناه بقدر) كقولـه (وخلق كل شيىء فقدره تقـديرا) وكقوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى) أي قدر قدرا وهدى الخلائق اليه ، ولهدا يستدل بهذه الآية الكريمة ائمة السنة على اثبات قدر اللـه السابق لخلقه وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات ومـا ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة انتهى ٠

ومما ذكرته من الأحـاديث في هـذا التنبيه يعلم أن المفسرين لم يغلطوا ولم يخطئوا في تفسير قوله تعالى (انا كل شيىء خلقناه بقدر) حيث قالوا انها نزلت في اثبات القـدر السابق والوعيد الشديد للقدرية ، ومن زعم أنهم قد غلطوا وأخطئوا فهو الغالط المخطىء في الحقيقة ، وما أبشع القـول الذي يتضمن تغليط أبي هريرة وابن عباس وعبد اللـه بن عمرو رضي الله عنهم ، وما أسوأ القول الذي يتضمن تخطئتهم

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة

وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

وهل يظن الذي يغلطهم ويخطئهم أنه أعلم بكتاب الله من أبي هريرة وابن عباس وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهم ، أو أنه أعلم من الامـام أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم من الائمة الذين خرجوا أحاديثهم واعتمدوا عليها ، أو أنه أعلم بالتفسير من محمـد بن كعب القرظي وابن جـرير الطبري والبغوي وابن الجوزي وابن كثير وأمثالهم من الائمة المعروفين بالتقـدم في عـلم التفسير ، كـلا فليس المتخرصـون مثل الجهابذة الحفاظ ، ولا شك أن ما جاء عن هؤلاء الائمة في

تفسير الآية من سورة القمر هو المقبول وما خالفه من أقوال المتخرصين فهو مردود ، ولقد أحسن الشاعر حيث يقول :

وليس من الانصاف أن يدفع الفتى
يد النقص عنه بانتقاص الأفاضل

التنبيه الثالث : قال ابن محمود في صفحة ١٣ بعد سياقه للحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض » قال وهذه الكتابة هي عبارة عن العلم القائم بذات الله وهو معنى قول أحدنا ، قدر الله وما شاء فعل ، قدر الله أي وسابق علم الله .

وقال في صفحة ١٥ ما نصه « كتابة المقادير » ثبت في الكتاب والسنة كتابة المقادير كقوله تعالى (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) وقوله (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) وقوله (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسمائة عام » .

هكذا قال ابن محمود بخمسمائة عام وهو غلط ، والصواب بخمسين ألف سنة كما تقدم بيانه في حديث عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما .

ثم قال ابن محمود وحديث « أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة» .

وانا عندما نقرأ أو نسمع ما ثبت عن اللــــه ورسوله في كتابة المقادير يجب أن نفهم بأن هذه الكتابة هي من عـــالم الغيب فلا ينبغي أن نقيسها على الكتابة التي نكتبها بأيدينا ولا على القلم الذي نكتب به ، بل هي عبارة عن سبق علم الله بالأشياء قبل وقوعها فانه سبحانه يعلم ما كان وما سيكون كيف يكون فهي بمثابة المكتوب المضبوط في علم الله عبر عنها سبحانه بالكتابة كما يقول الرجل لصاحبه حاجتك مكتوبة في صدري اذا أراد الاعتناء بها ـ الى أن قـال ـ وكتابته للأشياء اشارة الى علمه بسائر المعلومات لا تخفى عليه خافية من أمر خلقه فهي كالمكتوب المضبوط في علمه اذ ليس عندنا وصف الكتابة ولا القلم المكتوب به ولا المكتوب فيه ـ الى أن قال في صفحة ١٦ ـ وانما ذكرت هذا لتقريب الاذهان الى الاذعان بالايمان بالقرآن فهو سبحانه يعلم بالمصيبة قبل وقوعها ، وعلمـــه سبحانه بها ليس هو الذي أوقع المصاب في المصيبة وانمـــا وقعت بالاسباب المترتبة على وقوعها .

وأقول ان في كلام ابن محمود عدة أخطاء، أحدها التناقض وذلك أنه أثبت كتابة المقادير في أول كلامـــه واستدل لذلك بثلاث آيات من القرآن وحديثين صحيحين وقـال ان هـــذه الكتابة من عالم الغيب فلا ينبغي أن نقيسها على الكتابة التي نكتبها بأيدينا ولا على القلم الذي نكتب به ، ثم رجع فنقض قوله وزعم أن الكتابة عبارة عن العلم القائم بذات الله وسبق علمه بالاشياء قبل وقوعها وان ذلك بمثابة المكتوب المضبوط في علم الله ، وهذا في الحقيقة نفي للكتابة بالكلية ، وحاصل قوله ان الكتابة اسم لا مسمى له ولفظ لا معنى له .

الخطأ الثاني : زعمه أن الله تعالى عبر عن علمه بالكتابة وهذا من القول على الله بغير علم ، ويلزم على هذا القول الغاء ما جاء في القرآن من النصوص الدالة على كتابة المقادير وعلى

اللوح المحفوظ ــ وهو أم الكتاب ، والامــام المبين ، والكتاب المبين ــ والغاء النصوص ليس بالأمر الهين ، ومن ألغى نصا من نصوص القرآن فهو على شفا هلكة ٠

الخطأ الثالث : القول على الرسول صلى الله عليه وسلم بما لم يقل فان النبي صلى الله عليه وسلم نص عــلى كتابة المقادير وعلى القلم الذي كتبت به المقادير في أحــاديث كثيرة وهي نصوص صريحة لا تحتمل التأويل ، ومن زعم أن هــذه النصوص عبارة عن العلم القائم بذات الله تعالى وعلى سبق علمــه بالأشياء قبل وقوعهــا ، وان ذلك بمثابة المكتوب المضبوط في علم الله فقد صرف النصوص عن ظاهرها وقال على الرسول صلى الله عليه وسلم مــا لم يقل ٠ وقــد ورد الوعيد الشديد لمن قال على الرسول صلى الله عليه وسلم مالم يقــل ٠

الخطأ الرابع : تحريف الكلم عن مواضعه فــان من صرف نصوص القرآن والأحاديث الصحيحة عن ظاهرها وتأولهــا على غير ما يراد بها فقد حرف الكلم عن مواضعه وتشبه بالأمة المغضوب عليها ٠

الخطأ الخامس : ما وقع منه من التغيير في متن حــديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وقد تقدم التنبيه عليه ٠

الخطأ السادس : ضربه المثل لعلم الله تعالى بالمقــادير وكتابتها بقول الرجل لصاحبه حاجتك مكتوبة في صــدري ، وقد قال الله تعالى (فلا تضربوا لله الأمثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) ثم ان المثل الذي ذكره ــ أو على الأصح ابتكره ــ ليس بصحيح في نفس الأمر فان الصدر ليس بمحل للكتابة حتى يضرب المثل بالكتابة فيه وانما هو محل للحفظ كما قال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) ٠

وقد ذكر ابن محمود السبب الحامل له على ضرب هـذا المثل المبتكر وهـو أنه ليس عنده وصف الكتابة ولا القلم المكتوب به ولا المكتوب فيه ٠

وأقول كان ينبغي أن يسعه ما وسع الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة والجماعة من الايمان بما جاء في نصوص الكتاب والسنة من اثبات كتابة المقادير واثبات القلم الذي كتبت به المقادير واثبات اللوح المحفوظ الـذي كتبت فيه المقادير وامرار النصوص كما جاءت وترك البحث والتنقيب عما أخفي علمه من الأمور الغيبية وأن لا يتعرض لها بالتأويل وضرب الأمثال ٠

الخطأ السابع : ما يلزم على قوله في كتابة المقادير انهـا عبارة عن سبق علم الله بالأشياء قبل وقوعهـا مع ايراده لحديث « ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض » أن يكون الله غير عالم بالأشياء في الأزل وانما علم بها قبل خلق السموات والارض بخمسمائة على حد ما جاء في تعبير ابن محمود ٠ وهذا موافق لقول غلاة القدرية الـذين نبغوا في آخر عصر الصحابة ورد عليهم ابن عمر وابن عباس وغيرهما من الصحابة رضي اللـه عنهم وتبرؤا منهم ، ومن اعتقد هذا المعتقد الباطل فقد وصف الرب تبـارك وتعـالى بالجهل قبل كتابته للمقادير،وهذا من أقبح الأقوال وأشنعها وقد ذكر شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه اللـه تعالى في جواب له أن هذا القول مهجور باطل مما اتفق عـلى بطلانه السلف من الصحـابة والتابعين لهم باحسان وسائر علماء المسلمين ، بل كفروا من قاله ، والكتاب والسنة مـع الأدلـة العقلية تبين فساده انتهى من مجمـوع الفتاوى ج ٨ صفحة ٤٩١

فان قال ابن محمود أنه يعتقد أن علم الله قديم وأن الله لم يزل عالما بجميع الأشياء في الأزل ·

قيل له يلزمك على هذا القول مع قولك أن كتابة المقادير عبارة عن العلم القائم بذات الله وسبق علمه بالأشياء قبل وقوعها أن تكون الكتابة أزلية أيضا ، ويلزم على هذا تكذيب ما جاء في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة» وتكذيب ما جاء في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول اللهصلىالله عليه وسلم قال«كان الله ولم يكن شيىء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيىء وخلق السموات والارض » وتكذيب الأحاديث الثابتة في خلق القلم وأمره بكتابة المقادير من حين خلقه الله ، وسيأتي ذكر الأحاديث في ذلك في التنبيه الثالث ان شاء الله تعالى ·

ويلزم أيضا على القول بأن الكتابة أزلية أن يكون القلم واللوح المحفوظ أزليين وهذا موافق لقول الفلاسفة القائلين بقدم العالم ، والقول بقدم العالم كفر بلا نزاع ·

والمقصود هنا بيان أن أحد الأمرين لازم لابن محمود ، اما أن يقول ان علم الله حادث وكائن وقت كتابة المقادير ، أو أن يقول ان كتابة المقادير قديمة أزلية ، وكل من الامرين باطل وخطير ·

وقد ذكر شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في جواب له في الجزء الثامن من الفتاوى ان غلاة القدرية أنكروا علم الله القديم وكتابه السابق ، قال وهؤلاء هم أول من حدث من القدرية فيهذه الأمة ورد عليهم الصحابة وسلف الأمة وتبرؤا منهم انتهى من صفحة ٥٩

وقال شيخ الاسلام أيضا في جواب آخر في صفحة ٤٤٩ من المجلد الثامن ، مذهب أهل السنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان وهو أن اللـه خالق كل شيىء وربه ومليكه ، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد ، وانه سبحانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون في الوجود شيىء الا بمشيئته وقدرته ، لا يمتنع عليه شيىء شاءه ، بل هو قادر على كل شيىء ، ولا يشاء شيئا الا وهو قادر عليه ، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها .

وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم ، قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون اليه من سعادة وشقاوة ، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيىء وقدرته على كل شيىء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته اياها قبل أن تكون . وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم وكتابته السابقة ، ويزعمون انه أمر ونهى وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه بل الأمر أنف أي مستأنف .

وهذا القول أول ما حدث في الاسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين وبعد امارة معاوية بن أبي سفيان في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير وبين بني أمية في أواخر عصر عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهما من الصحابة ، وكان أول من ظهر ذلك عنه بالبصرة معبد الجهني فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرؤا منهم وأنكروا مقالتهم كما قال عبدالله بن عمر لما أخبر عنهم ، اذا لقيت أولئك فأخبرهم أني

بريء منهم وانهم برءاء مني، وكذلك كلام ابن عباس وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين فيهم كثير حتى قال فيهم الائمة كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم ان المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون انتهى المقصود من كلامه رحمه الله .

وقال شيخ الاسلام أيضا في جواب آخر، والقرآن والسنة تثبت القدر وتقدير الأمور قبل أن يخلقها وان ذلك في كتاب وهذا أصل عظيم يثبت العلم والارادة لكل ما سيكون ويزيل اشكالات كثيرة ضل بسببها طوائف في مسائل العلم والارادة، فالايمان بالقدر من أصول الايمان كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل ، قال « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره ، وقد تبرأ ابن عمر وغيره من الصحابة من المكذبين بالقدر انتهى .

وقال شيخ الاسلام أيضا في تفسيره لسورة (سبح اسم ربك الأعلى) وانما نازع في التقدير السابق والكتاب أولئك الذين تبرأ منهم الصحابة كابن عمر وابن عباس وغيرهما انتهى .

وقد تظافرت النصوص من الكتاب والسنة على اثبات كتابة المقادير وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث على ذلك ، وأنا أذكر من النصوص ما تيسر وبالله المستعان .

فأما النصوص من القرآن ففي آيات كثيرة ، منها قوله تعالى في سورة الحج (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) قال ابن

الجوزي في تفسيره (ان ذلك) يعني ما يجري في السموات والارض (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ ، وقال البغوي (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ ، وقال ابن كثير في الكلام على هذه الآية يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه وانه محيط بما في السموات وما في الارض فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وانه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ ـ ثم ذكر حديث « ان الله قدر مقادير الخلائق » وحديث « أول ما خلق الله القلم » وسيأتي ذكرهما مع الأحاديث ان شاء الله تعالى ، وذكر أيضا ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى أكتب فقال القلم : وما أكتب قال علمي في خلقي الى يوم تقوم الساعة فجرى القلم بما هو كائن في علم الله الى يوم القيامة فذلك قوله للنبي صلى الله عليه وسلم (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض) قال ابن كثير وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها وقدرها وكتبها أيضا ، فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك على الوجه الذي يفعلونه ، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره وهذا يعصي باختياره وكتب ذلك عنده وأحاط بكل شييء علما وهو سهل عليه يسير لديه ولهذا قال تعالى (ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) انتهى .

وقد فرق الله تعالى في هذه الآية الكريمة بين العلم والكتابة فقال (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض) فهذه الجملة فيها اثبات العلم ، ثم قال تعالى(ان ذلك في كتاب) وهذه الجملة فيها اثبات الكتابة ، وفي هذه الآية أبلغ رد على ابن محمود حيث جمع بين ما فرق الله بينه فزعم أن الكتابة عبارة عن العلم القائم بذات الله .

الآية الثانية قوله تعالى في سورة الحديد (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) قال ابن الجوزي في تفسيره قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض) يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا في أنفسكم من الامراض وفقد الاولاد (الا في كتاب) وهو اللوح المحفوظ (من قبل ن نبرأها) أي نخلقها يعني الأنفس (ان ذلك على الله يسير) أي اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل انتهى ، وفي تفسير البغوي وابن كثير نحو ذلك ٠

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالسا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبراها) فسألته عنها فقال سبحان الله ومن يشك في هذا كل مصيبة بين السماء والارض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة ٠

قال ابن كثير وهذه الآية العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبحهم الله ، وقوله تعالى (ان ذلك على الله يسير) أي ان علمه تعالى الاشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل لانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، وقوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للاشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا ان ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم لانه لو قدر شيىء لكان (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي أعطاكم ، أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فان

ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وانما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشرا وبطرا تفخرون بها على الناس، ولهذا قال تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) انتهى ·

الآية الثالثة قوله تعالى في سورة النمل (وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين) قال ابن الجوزي في تفسيره (وما من غائبة) أي وما من جملة غائبة (الا في كتاب) يعني اللوح المحفوظ انتهى ·

وقال البغوي في تفسيره (وما من غائبة) أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر وشيء غائب (في السماء والارض الا في كتاب مبين) أي في اللوح المحفوظ انتهى ·

وقال القرطبي في الكلام على هذه الآية أي ما من خصلة غائبة عن الخلق الا والله عالم بها قد أثبتها في أم الكتاب عنده فكيف يخفى عليه ما يسر هؤلاء وما يعلنونه ، وقيل أي كل شيء هو مثبت في أم الكتاب يخرجه للأجل المؤجل له فالذي يستعجلونه من العذاب له أجل مضروب لا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه ، والكتاب اللوح المحفوظ أثبت الله فيه ما أراد ليعلم بذلك من يشاء من ملائكته انتهى ·

الآية الرابعة قوله تعالى في سورة هود (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) قال البغوي أي كل مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها ، قال ابن الجوزي وهذا قول المفسرين ·

الآية الخامسة قوله تعالى في سورة الأنعام (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) قال ابن جرير يقول ولا شيىء مما هو موجود أو مما سيوجد ولم يوجد بعد الا وهو مثبت في اللوح

المحفوظ مكتوب ذلك فيه ومرسوم عدده ومبلغه والـــوقت الذي يوجد فيه والحال التي يفنى عليها ، وقال البغوي يعني الكل مكتوب في اللوح المحفوظ ٠

الآية السادسة قوله تعالى في سورة يونس (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنـــا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقـال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) قال ابن الجوزي في تفسيره قـال ابن عباس رضي الله عنهما هو اللوح المحفوظ ، وقال البغوي في تفسيره هو اللوح المحفوظ ٠

الآية السابعة قوله تعالى في سورة فاطر(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا ومـــا تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمـره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير) قال البغـــوي في تفسيره قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمـــره ، وقال ابن الجـــوزي في تفسيره المعنى ما يذهب من عمر هذا المعمـــر يوم أو ليلة الا وذلك مكتوب ــ ثم ذكر قول سعيد بن جبير الذي تقدم ثم قال ــ وهـــذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس وبه قال عكرمة وأبو مالك في آخرين ، فأما الكتاب فهو اللوح المحفوظ انتهى ٠

الآية الثامنة قوله تعالى في سورة الأنعام (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مـــا فرطنا في الكتاب من شيء) قال ابن عباس رضي الله عنهما (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ما تركنا شيئا الا قد كتبناه في أم الكتاب رواه ابن جرير ، وعن عبد الرحمن بن زيد نحو ذلك رواه ابن

جرير أيضا ، وقال البغوي في قوله (ما فرطنا في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ .

الآية التاسعة قوله تعالى في سورة طه (قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي و لاينسى) قال البغوي يعني في اللوح المحفوظ ، وكذا قال ابن الجوزي وابن كثير .

الآية العاشرة قوله تعالى في سورة الرعد (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)قال البغوي أي أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير ، وقال ابن الجوزي قال المفسرون وهو اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه ما يكون ويحدث .

الآية الحادية عشرة قوله تعالى في سورة يس (انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيىء احصيناه في امام مبين) قال ابن كثير أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ ، والامام المبين ههنا هو أم الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال البغوي وابن الجوزي (في امام مبين) وهو اللوح المحفوظ .

الآية الثانية عشرة قوله تعالى في سورة الزخرف (حم والكتاب المبين . انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) قال ابن كثير وانه أي القرآن (في أم الكتاب) أي اللوح المحفوظ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ، وقال البغوي وانه يعني القرآن (في أم الكتاب) في اللوح المحفوظ قال قتادة أم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شيء أصله ، قال ابن عباس رضي الله عنهما أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ (وانه في أم الكتاب لدينا) فالقرآن مثبت عند

الله في اللوح المحفوظ كما قال (بل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ) وكذا قال ابن الجوزي القرآن مثبت عند الله عز وجل في اللوح المحفوظ .

الآية الثالثة عشرة قوله تعالى في سورة الواقعة (انه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون) قال البغوي (في كتاب مكنون) مصون عند الله في اللوح المحفوظ ، وقال ابن الجوزي (في كتاب) فيه قولان أحدهما أنه اللوح المحفوظ قاله ابن عباس والثاني أنه المصحف الذي بأيدينا قاله مجاهد وقتادة .

الآية الرابعة عشرة قوله تعالى في سورة « ق » (قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ) قال ابن الجوزي أي حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ قد أثبت فيه ما يكون ، وقال البغوي في قوله تعالى (وعندنا كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن أن يدرس ويتغير وهو اللوح المحفوظ انتهى .

الآية الخامسة عشرة قوله تعالى في سورة البروج (بل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ) قال البغوي وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب محفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان ، وقال ابن الجوزي نحو ذلك ، وقال ابن كثير أي هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل انتهى .

الآية السادسة عشرة قوله تعالى في سورة النبأ (وكل شيىء أحصيناه كتابا) قال البغوي أي وكل شيىء من الاعمال بيناه في اللوح المحفوظ كقوله (وكل شيىء أحصيناه في امام مبين) وقال ابن الجوزي قال المفسرون وكل شيىء من الاعمال أثبتناه في اللوح المحفوظ انتهى .

وروى عبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة عن طاوس قال كنت جالسا مع ابن عباس رضي الله عنهما في حلقة فذكروا أهل القدر فقال أفي الحلقة منهم أحد فآخذ برأسه ثم أقرأ عليه (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) ثم اقرأ عليه آية كذا وآية كذا ـ آيات في القرآن ، اسناد كل منهما صحيح على شرط الشيخين .

وهذه الآية من سورة الاسراء هي الآية السابعة عشرة من الآيات الدالة على كتابة المقادير على أحد القولين فيها . قال البغوي قوله عز وجل (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) أي أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يعني وقضينا عليهم فالى بمعنى على ، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ انتهى وذكر ابن الجوزي في تفسيره نحو ذلك .

الآية الثامنة عشرة قوله تعالى في سورة الانفال (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) قال أبو جعفر ابن جرير يقول تعالى ذكره لاهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الاسرى الفداء (لولا كتاب من الله سبق) يقول لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر في اللوح المحفوظ بان الله محل لكم الغنيمة وان الله قضى فيما قضى انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يعذب أحدا شهد المشهد الذي شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصرا دين الله لنالكم من الله بأخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل انتهى .

وقال البغوي في تفسيره قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الغنائم حراما على الأنبياء والأمم وكانوا اذا أصابوا شيئا من الغنائم جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في الغنائم وأخذوا الفداء فأنزل الله عز وجل (لولا كتاب من الله سبق) يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم ·

وقال ابن كثير في تفسيره قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (لولا كتاب من الله سبق) يعني في أم الكتاب الأول أن المغانم والاسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم من الاسارى عذاب عظيم انتهى ·

وأما النصوص من السنة على اثبات كتابة المقادير فهي كثيرة جدا وقد تقدم منها ثلاثة أحاديث ، أولها حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء » رواه الامام أحمد ومسلم والترمذي وعبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة والآجري في كتاب الشريعة وهذا لفظ مسلم وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب ·

قال النووي في شرح مسلم قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير فان ذلك أزلي لا أول له انتهى ·

الثاني حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل قال « بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » قال ففيم العمل فقال «اعملوا فكل ميسر»

رواه الامام أحمد وأبو داود الطيالسي ومسلم وعبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة .

وقد رواه ابن حبان في صحيحه ولفظه عن جابر رضي الله عنه أن سراقة بن جعشم قال يا رسول الله أخبرنا عن أمرنا كأننا ننظر اليه أبما جرت به الأقلام وثبتت به المقادير أو بما يستأنف قال « بل بما جرت به الأقلام وثبتت به المقادير » قال ففيم العمل اذا ، قال « اعملوا فكل ميسر » قال سراقة فلا أكون ابدأ أشد اجتهادا في العمل مني الآن .

قال النووي في شرح مسلم قوله جفت به الأقلام أي مضت به المقادير وسبق علم الله تعالى به وتمت كتابته في اللوح المحفوظ وجف القلم الذي كتب به ، وامتنعت فيه الزيادة والنقصان ، قال العلماء وكتاب الله تعالى ولوحه وقلمه والصحف المذكورة في الأحاديث كل ذلك مما يجب الايمان به، وأما كيفية ذلك وصفته فعلمها الى الله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والله أعلم انتهى .

الثالث حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رجلا من جهينة أو من مزينة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضي عليهم أو مضى عليهم في قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم واتخذت عليهم به الحجة قال « بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم » قال فلم يعملون اذا يا رسول الله قال « من كان الله عز وجل خلقه لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها)» رواه الامام أحمد وأبو داود الطيالسي ومسلم .

وروى الامام أحمد أيضا وأبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوه وهو **الحديث الرابع** .

الحديث الخامس عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر قال « كان الله ولم يكن شيىء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيىء وخلق السموات والارض » رواه البخاري بهذا اللفظ والترمذي مختصرا وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ٠

وقد رواه الامام أحمد باسناد صحيح ولفظه عن عمران ابن حصين رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقبلوا البشرى يا بني تميم » قال قالوا قد بشرتنا فأعطنا قال « أقبلوا البشرى يا أهل اليمن » قال قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان قال « كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيىء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء » ورواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة وقال فيه « كان الله عز وجل ولم يك شيىء وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء قبل أن يخلق السموات والارض » ٠

الحديث السادس عن الوليد بن عبادة بن الصامت قال دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال أجلسوني قال يا بني انك لن تطعم طعم الايمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قال قلت يا أبتاه فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره قال تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك يا بني اني سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول « ان أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ثم قال أكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » يا بني ان مت ولست على ذلك دخلت النار ، رواه الامام أحمد .

وقد رواه أبو داود السجستاني بنحوه وقال فيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له أكتب فقال رب وماذا أكتب قال أكتب مقادير كل شيىء حتى تقوم الساعة » يا بني اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من مات على غير هذا فليس مني » وفي رواية لاحمد قال وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ثم قال له أكتب قال وما أكتب قال فأكتب ما يكون وما هو كائن الى أن تقوم الساعة » .

ورواه أبو داود الطيالسي وقال فيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان أول ما خلق الله القلم فقال أكتب فقال يارب ما أكتب قال أكتب القدر ما كان وما هو كائن الى الأبد » .

ورواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة وقال فيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان أول شيىء خلقه الله عز وجل القلم فقال أكتب قال وما أكتب قال أكتب القدر فجرى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » .

ورواه الترمذي من طريق أبي داود الطيالسي حدثنا عبد الواحد بن سليم قال قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت له يا أبا محمد ان أهل البصرة يقولون في القدر قال يا بني أتقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرأ الزخرف قال فقرأت

(حم ، والكتاب المبين ، انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون، وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) فقال أتدري ما أم الكتاب قلت الله ورسوله أعلم ، قال فانه كتاب كتبه اللـــه قبل أن يخلق السموات وقبل أن يخلق الارض فيه أن فرعون من أهل النار وفيـــه (تبت يدا أبي لهب وتب) • قال عطاء فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم فسألته ما كان وصية أبيك عند الموت قال دعاني أبي فقال لي يا بني اتق الله واعلم انك لن تتقي اللـــه حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره فان مت على غير هذا دخلت النار اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان أول ما خلق الله القلم فقال أكتب فقـــال ما أكتب قـــال أكتب القدر ما كان وما هو كائن الى الأبد » قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه •

الحديث السابع : عن أبي بن كعب رضي الله عنه قـــال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما خلق الله القلم فقال لـــه أكتب فجرى بما هـــو كائن الى الأبد » رواه رزين •

الحديث الثامن : عن ابن عباس رضي اللـــه عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أول شيء خلقه الله القلم وأمـــره أن يكتب كل شيء » رواه البزار قال الهيثمي ورجاله ثقات • وقد رواه عبد الله بن الامـــام أحمد في كتاب السنة ولفظه أن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم قال « ان أول ما خلق الله القلم فأمـــره فكتب كل شيء يكون » رواته كلهم ثقات •

الحديث التاسع : عن ابن عباس رضي اللـــه عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله القلم قال لـــه أكتب فجرى بما هو كائن الى قيام الساعة » رواه الطبراني قال الهيثمي ورجاله ثقات •

الحديث العاشر : عن أبي هريرة رضي الله عنه قـــال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان أول شيء خلق الله عز وجل القلم ثم خلق النون وهي الـــدواة ثم قال أكتب قال وما أكتب قال أكتب ما يكون وما هو كائن من عمل أو أثر أو رزق أو أجل فكتب ما يكون وما هـو كائن الى يوم القيامة فذلك قوله عز وجل (ن ، والقلم وما يسطرون) ثم ختم عـلى القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامـــة » رواه الآجري في كتاب الشريعة .

الحديث الحادي عشر : عن ابن عباس رضي الله عنهمـــا أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لـه رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا غلام اني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعـوا على أن ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولـــو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه اللـــه عليك رفعت الأقـــلام وجفت الصحف » رواه الامام أحمـــد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح .

الحديث الثاني عشر : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اني رجل شاب وأخاف العنت ولا أجد مـا أتزوج به ألا أختصي فسكت عني ثم قلت له فسكت عني ثم قلت له فسكت عني ثم قال « يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر » رواه البخاري والنسائي .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري قوله جف القلم بمـا أنت لاق أي نفذ المقـــدور بما كتب في اللوح المحفوظ فبقي القلم الذي كتب به جافا لا مداد فيه لفراغ ما كتب به .

وقال الحافظ أيضا في الكلام على هذا الحديث «جف القلم» أي فرغت الكتابة اشارة الى أن الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتغير حكمه فهو كناية عن الفراغ من الكتابة لان الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها وكذلك القلم فاذا انتهت الكتابة جفت الكتابة والقلم ، وقال الطيبي هو من اطلاق اللازم على الملزوم لان الفراغ من الكتابة يستلزم جفاف القلم عن مداده ، قال ابن حجر وفيه اشارة الى أن كتابة ذلك انقضت من أمد بعيد . وقال عياض معنى جف القلم أي لم يكتب بعد ذلك شيئا ، وكتاب الله ولوحه وقلمه من غيبه ومن علمه الذي يلزمنا الايمان به ولا يلزمنا معرفة صفتة انتهى .

وقوله « فاختص على ذلك أو ذر » قال الحافظ ابن حجر ليس الأمر فيه لطلب الفعل بل هو للتهديد وهو كقوله تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) والمعنى ان فعلت أو لم تفعل فلابد من نفوذ القدر وليس فيه تعرض للخصاء ، ومحصل الجواب ان جميع الأمور بتقدير الله في الأزل فالخصاء وتركه سواء فان الذي قدر لابد أن يقع انتهى .

الحديث الثالث عشر عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل » رواه الامام أحمد والترمذي والبزار والطبراني وقال الترمذي هذا حديث حسن وقال الهيثمي رجال أحد اسنادي أحمد ثقات ، وقد رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال صحيح قد تداوله

الائمة وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة ، وقال الذهبي في تلخيصه على شرطهما ولا علة له .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ويقال ان عبدالله بن طاهر أمير خراسان للمأمون سأل الحسين بن الفضل عن قوله تعالى (كل يوم هو في شأن) مع هذا الحديث ، فأجاب هي شئون يبديها لا شئون يبتديها فقام اليه وقبل رأسه انتهى .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « ان أول ما خلق الله القلم قال له أكتب قال ما أكتب قال أكتب ما هو كائن الى يوم القيامة » رواه عبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة واسناده صحيح على شرط البخاري .

وعنه أيضا رضي الله عنه أنه قال « ان أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) » رواه عبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة ورجاله ثقات .

وعنه أيضا رضي الله عنه أنه قال « أول ما خلق الله القلم قال أكتب قال وماذا أكتب قال أكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم الى قيام الساعة » رواه ابن جرير باسناد صحيح على شرط الشيخين ، ورواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة بنحوه وزاد في آخره « وكان عرشه على الماء » واسناده صحيح على شرط الشيخين وقد رواه الحاكم في مستدركه بنحو رواية الآجري وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وعنه أيضا رضي الله عنه أنه قال « أول ما خلق الله القلم خلقه من هجاء قبل الألف واللام فتصور قلما من نور فقيل له اجر في اللوح المحفوظ قال يارب بماذا قال بما يكون الى يوم القيامة فلما خلق الله الخلق وكل بالخلق حفظة يحفظون عليهم

أعمالهم فلما قامت القيامة عرضت عليهم أعمالهم وقيل (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) ثم عرض بالكتابين فكانا سواء . قال ابن عباس ألستم عربا هل تكون النسخة الا من كتاب » رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وعنه أيضا رضي الله عنه أنه قال« ان الله جل ذكره خلق العرش فاستوى عليه ثم خلق القلم فأمره أن يجري باذنه فقال القلم بما يارب أجري قال بما أنا خالق وكائن في خلقي من قطر أو نبات أو نفس أو أثر يعني به العمل أو رزق أو أجل فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فاثبته الله في الكتاب المكنون عنده تحت العرش » رواه ابن أبي حاتم والطبراني .

وعن مجاهد قال قيل لابن عباس رضي الله عنهما أن ههنا قوما يقولون في القدر فقال « انهم يكذبون بكتاب الله عز وجل لآخذن بشعر أحدهم فلأنصونه ، ان الله عز وجل كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئا ثم خلق فكان أول ما خلق القلم ثم أمره فقال أكتب فكتب ما هو كائن الى قيام الساعة وانما تجري الناس على أمر قد فرغ منه » رواه الآجري في كتاب الشريعة .

قوله فلأنصونه أي أخذ بناصيته .

وهذه الآثار عن ابن عباس رضي الله عنهما لها حكم المرفوع لانه لا دخل للرأي في مثل هذا وانما يقال عن توقيف.

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية :

واذكر حديث السبق للتقدير والـ
توقيت قبل جميع ذي الاعيان

خمسين ألفا من سنين عدها الـ
مختار سابقة لذي الأكوان

هذا وعرش الرب فوق الماء من
قبل السنين بمـدة وزمـان
والناس مختلفون في القلم الـذي
كتب القضـاء به من الـديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده
قولان عند أبي العـلا الهمـذاني
والحق أن العـرش قبل لانـه
قبل الـكتابة كان ذا أركـان
وكتابة القلم الشـريف تعقبت
ايجـاده من غير فصل زمـان
لما براه اللـه قال أكتب كـذا
فغـدا بأمر اللـه ذا جـريان
فجـرى بما هـو كائن أبدا الى
يوم المعـاد بقـدرة الـرحمن

ومما ذكرته من نصوص الآيات والآحـاديث عـلى كتابة المقادير وعلى القلم الذي كتبت به المقادير وعـلى الكتاب المبين الذي كتبت فيه المقادير أبلغ رد على ابن محمود فيما زعمه من ان كتابة المقادير عبارة عن العلم القائم بذات الله وسبق علمه بالأشياء قبل وقوعهـا وان ذلك بمثابة المكتوب المضبوط في علم اللـه ٠

وقد تقدم ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى من اجمـاع الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة والحديث ان كل كائن الى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب ٠

وتقدم أيضا ما ذكره شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى عن أهل السنة والجماعـة انهم يؤمنون بخلق الله لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل مـا كان

وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته اياها قبل أن تكون ، وفي هذا أبلغ رد على ابن محمود ٠

وأما قوله وانما ذكرت هذا لتقريب الأذهان الى الاذعان بالايمان بالقرآن ٠

فجوابه أن يقال ليست رسالة ابن محمود في القضاء والقدر مما يقرب الأذهان الى الاذعان بالايمان بالقرآن وانما هي مما يقرب الاذهان الى الاذعان بقول غلاة القدرية الذين ينكرون كتابة المقادير قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وقد تبعهم ابن محمود على قولهم الباطل حيث زعم في صفحة ١٣ وصفحة ١٥ أن كتابة المقادير عبارة عن العلم القائم بذات الله وسبق علمه بالأشياء قبل وقوعها وأن ذلك بمثابة المكتوب المضبوط في علم الله عبر عنها سبحانه بالكتابة هذا كلامه وهو صريح في نفي الكتابة كما تقدم بيان ذلك ٠

وأما قوله فهو سبحانه يعلم بالمصيبة قبل وقوعها، وعلمه سبحانه بها ليس هو الذي أوقع المصاب في المصيبة وانما وقعت بالاسباب المترتبة على وقوعها ٠

فيقال ان المصائب كلها بقضاء وقدر وأسبابها بقضاء وقدر فالكل معلوم للرب تبارك وتعالى في الأزل ومكتوب في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ٠ ومن زعم أن المصائب تقع بالاسباب وحدها ولم تكن بقضاء وقدر سابق فهو من القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة ٠

التنبيه الرابع : قال ابن محمـــود في صفحــة ١٧ و ١٨ ما نصــــه :

وهنا حديث يجادل به أهل الجدل من أهل القدر وهو في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم « التقى آدم وموسى فقال موسى أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلمك أسماء كل شييء فبما أخرجتنا ونفسك من الجنه ، فقـــال آدم أنت موسى رسول الله وكلمك الله تكليما وقد قرأت التوراة أفـلا وجدت فيها « وعصى آدم ربه فغوى وذلك قبل أن أخلق بأربعين عاما ، قال بلى قال فلم تلومني على أمر قـــدره علي ، قال فحج آدم موسى » .

وهذا الحديث من مشكل الآثار،وقد ألحق به ابن حجر في فتح الباري عدة اشكالات كثيرة،أهمها أنه مخالف لنص القرآن في قصة آدم في قوله (وعصى آدم ربه فغوى) وفي قوله (ربنـا ظلمنا أنفسنا) فلم يحتج آدم عـلى ربه بكتابة المقـــادير بل اعترف بذنبه ولجأ بالتوبة الى ربه ، ومنها أنه يقوي مـذهب الجبر المخالف للكتاب والسنة واجماع الصحابة وسلف الأمة، ثم هذا اللقاء هل هو بالأراح في الدنيا أم هو يوم القيامة حين يبعث الناس من قبورهم وتسقط عنهم التكاليف الشرعيـة ، الى غير ذلك مما ذكر ج ١١ ص ٤٠٦

وأقول ان في كلام ابن محمود عدة أخطاء ، أحدها قوله : ان هذا الحديث من مشكل الآثار ، وهذا يقتضي الطعن في صحة الحديث والتوقف عن قبوله وهو قول القـــدرية كما سيأتي بيانه ، فأما أهل السنة والجماعة فانهم قد تلقوا هذا الحديث بالقبول والتسليم واتفقوا على صحته وثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن عبد البر هذا الحديث ثابت بالاتفاق رواه عن أبي هريرة جماعة من التابعين وروي عن النبي صلى اللــــه عليه وسلم من وجوه أخرى من رواية الائمة الثقــات الأثبات انتهى وقد نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري صفحة ٤٠٧ ج ١١ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥ هـ ٠

وقال ابن كثير في البداية والنهاية من كذب بهذا الحديث فمعاند لانه متواتر عن أبي هريرة رضي الله عنه وناهيك به عدالة وحفظا واتقانا انتهى ٠

وسيأتي كلام ابن القيم في ذكر الاتفاق على صحة هــــذا الحديث ٠

ونقل الحافظ ابن حجر في صفحة ٤١٠ج١١منفتح الباري عن ابن عبد البر أنه قال هذا الحديث أصل جسيم لاهل الحق في اثبات القدر وأن الله قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لمــا قدر له بما سبق في علم الله،قال وليس فيه حجة للجبرية وان كان في بادىء الرأي يساعدهم انتهى ٠

وقال الحافظ في صفحة ٤١٣ ج ١١ وفيه حجــــة لاهــل السنة في اثبات القدر وخلق أفعال العباد انتهى ٠

وما أحسن ما فعله هــارون الرشيد مــــع من استشكل حديث أبي هريرة رضي الله عنه في احتجاج آدم وموسى فقد روى الخطيب البغدادي في تاريخهمنطريق يعقوب بن سفيان قال سمعت علي بن المديني يقول قال محمد بن خازم كنتأقرأ حديث الأعمش عن أبي صالح على أمير المؤمنين هارون فكلما قلت قال رسول الله قال صلى الله على سيدي ومــولاي حتى ذكرت حديث « التقى آدم وموسى » فقال عمه ـ وسماه علي

فذهب علي ـ فقال يا محمد أين التقيا قال فغضب هارون وقال من طرح اليك هذا وأمر به فحبس ووكل بي من حشمه من أدخلني اليه في محبسه ، فقال يا محمد والله ما هو الا شيىء خطر ببالي وحلف لي بالعتق وصدقة المال وغير ذلك من مغلظات الايمان ما سمعت ذلك من أحد ولا جرى بيني وبين أحد في هذا كلام وما هو الا شيء خطر ببالي لم يجر بيني وبين أحد فيه كلام قال فلما رجعت الى أمير المؤمنين كلمته قال ليدلني على من طرح اليه هذا الكلام فقلت يا أمير المؤمنين قد حلف بالعتق ومغلظات الايمان انه انما هو شيىء خطر ببالي لم يجر بيني وبين أحد فيه كلام قال فأمر به فأطلق من الحبس وقال لي يا محمد ويحك انما توهمت أنه ألقى اليه بعض الملحدين هذا الكلام الذي خرج منه فيدلني عليهم فأستبيحهم والا فأنا على يقين أن القرشي لا يتزندق، قال هذا أو نحوه من الكلام انتهى .

وروى أبو عثمان الصابوني في عقيدته باسناده عن محمد ابن حاتم المظفري قال كان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد فحدثه بحديث أبي هريرة « احتج آدم وموسى » فقال عيسى بن جعفر كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما قال فوثب به هارون وقال يحدثك عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعارضه بكيف قال فما زال يقول حتى سكت عنه .

قال الصابوني هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق وينكر أشد الانكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بكيف على طريق الانكار له والابتعاد عنه ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم انتهى .

الخطأ الثاني : قوله أن ابن حجر الحق به اشكالات كثيرة في فتح الباري ، وليس الأمر كما زعمه ابن محمود فان الحافظ ابن حجر لم يلحق به اشكالات من قبل نفسه ولا عن أحـد من أهل السنة وانما ذكر الاشكالات عن القـدرية فهم سلف من استشكل هذا الحديث الصحيح ٠

قال في فتح الباري صفحـة ٤١١ ج ١١ الطبعـة الأولى سنة ١٣٢٥ هـ ما نصه :

وقد أنكر القدرية الحديث لانه صريح في اثبات القـدر السابق وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم لآدم على الاحتجاج به وشهادته بأنه غلب موسى، فقالوا لا يصح لان موسى لا يلوم على أمر قد تاب منه صاحبه وقد قتل هو نفسا لم يؤمر بقتلها ثم قال رب اغفر لي فغفر له ، فكيف يلوم آدم على أمر قد غفر له ٠ ثانيها لو ساغ اللوم على الذنب بالقـدر الذي فرغ من كتابته على العبد لكان من عوتب على معصية قد ارتكبها فيحتج بالقدر السابق ولو ساغ ذلك لانسد باب القصاص والحدود ولاحتج به كل أحد على ما يرتكبه من الفواحش وهـذا يفضي الى لوازم فظيعة فدل ذلك على أن هذا الحديث لا أصل له ، ثم ذكر الحافظ الجواب عن قول القدرية من أوجه فليراجع ذلك في صفحة ٤١١ ج ١١ وما بعدها ٠

وقال ابن كثير في البداية والنهاية وقـد اختلفت مسالك الناس في هذا الحديث فرده قوم من القدرية لمـا تضمن من اثبات القدر السابق ، واحتج به قوم من الجبرية وهو ظاهر لهم بادىء الرأي حيث قال فحج آدم موسى لما احتج عليه بتقدم كتابه ـ ثم ذكر قول من قال من العلماء ان جواب آدم انما كان احتجاجا بالقدر على المصيبة لا المعصية ٠

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه « شفاء العليل » وقد رد هذا الحديث من لم يفهمه من المعتزلة كأبي علي الجبائي ومن وافقه على ذلك وقال لو صح لبطلت نبوات الانبياء ، فان القدر اذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي فان العاصي بترك الأمر أو فعل النهي اذا صحت له الحجة بالقدر السابق ارتفع اللوم عنه ٠

وهذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته فان هذا حديث صحيح متفق على صحته لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها قرنا بعد قرن وتقابله بالتصديق والتسليم ، ورواه أهل الحديث في كتبهم وشهدوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قاله وحكموا بصحته ، فما لأجهل الناس بالسنة ومن عرف بعداوتها وعداوة حملتها والشهادة عليهم بانهم مجسمة ومشبهة حشوية وهذا الشأن، ولم يزل أهل الكلام الباطل المذموم موكلين برد أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تخالف قواعدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة ـ ثم ذكر أمثلة مما رده أهل البدع من الأحاديث الصحيحة الى أن قال : اذا عرفت هذا فموسى أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله فاجتباه ربه بعده وهداه واصطفاه ، وآدم أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته ، بل انما لام موسى آدم على المصيبة التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم الى دار الابتلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم فذكر الخطيئة تنبيها على سبب المصيبة والمحنة التي نالت الذرية ولهذا قال له أخرجتنا ونفسك من الجنة ٠ وفي لفظ خيبتنا ، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة وقال ان هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي ٠ والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب ، أي أتلومني على مصيبة

قدرت علي وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة ، هذا جواب شيخنا رحمه الله ـ يعني شيخ الاسلام أبا العباس ابن تيمية

قال ابن القيم وقد يتوجه جواب آخر وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع فينفع اذا احتج بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم فيكون في ذكر القدر اذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع لانه لا يدفع بالقدر أمرا ولا نهيا ولا يبطل به شريعة بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة ·

يوضحه أن آدم قال لموسى أتلومني على ان عملت عملا كان مكتوبا علي قبل أن أخلق ، فاذا أذنب الرجل ذنبا ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كأن لم يكن فأنبه مؤنب عليه ولامه حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك ويقول هذا أمر كان قد قدر علي قبل أن أخلق ، فانه لم يدفع بالقدر حقا ولا ذكره حجة له على باطل ولا محذور في الاحتجاج به · وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل بأن يرتكب فعلا محرما أو يترك واجبا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على اقامته عليه واصراره فيبطل بالاحتجاج به حقا ويرتكب باطلا كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) وقالوا (لو شاء الرحمن ما عبدناهم) فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه وانهم لم يندموا على فعله ولم يعزموا على تركه ولم يقروا بفساده فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود فاذا لامه لائم بعد ذلك قال كان ما كان بقدر الله ·

ونكتة المسألة أن اللوم اذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر واذا كان اللوم واقعا فالاحتجاج بالقدر باطل انتهى كلامه رحمه الله تعالى وهو من أحسن الأجوبة عن احتجاج آدم بالقدر ·

الخطأ الثالث : قولـه عن الاشكالات التي نسبهـا الى الحافظ ابن حجر أن أهمها أنه ـ أي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ مخالف لنص القرآن في قصة آدم في قوله (وعصى آدم ربه فغوى) وفي قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا) ٠

والجواب أن يقال أولا ليس هـذا الكلام في فتح الباري فلا تصح نسبته الى الحافظ ابن حجر ٠

ويقال ثانيا ليس في الحديث ما يخالف القرآن بوجه من الوجوه وانما هو موافق للقرآن لما فيـه من اثبات القـدر السابق ، وقد تقدم قول ابن عبد البر أنه أصل جسيم لأهل الحق في اثبات القدر ، وقول الحافظ ابن حجـر أنه صريح في اثبات القدر السابق وقول ابن كثير أنه قـد تضمن اثبات القدر السابق ٠

الخطأ الرابع : قولـه أنه يقوي مذهب الجبر المخـالف للكتاب والسنة واجماع الصحابة وسلف الأمة ٠

وجوابه أن يقال أولا ليس هذا الكلام بهذه العبارة في فتح الباري فلا تصح نسبته الى الحافظ ابن حجر ٠

ويقال ثانيا ان ابن حجر لم يقل ان هذا الحديث يقـوي مذهب الجبر وانما نقل عن ابن عبد البر أنه قال ليس فيـه حجة للجبرية وان كان في بادىء الرأي يساعدهم ، وقال ابن حجر أيضا في آخر الكلام على حديث أبي هريرة رضى الله عنه لما كان المراد به الرد على القدرية الذين ينكرون سبق القدر اكتفى به معرضا عما يوهمه ظاهره من تقـوية مذهب الجبر لما تقرر من دفعه في مكانه ٠

الخطأ الخامس : قوله ثم هذا اللقاء هل هـو بالأرواح في الدنيا أم هو يوم القيامـة حين يبعث الناس من قبورهـم وتسقط عنهم التكاليف الشرعية ٠

وجوابه أن يقال أولا ليس هذا الكلام بهـــذه العبارة في فتح الباري فلا تصح نسبته الى الحافظ ابن حجر ٠

ويقال ثانيا ان ابن حجر ذكر اختلاف العلمــاء في وقت احتجاج آدم وموسى وذكر فيها احتمالات لبعض العلمــاء لا دليل على شيىء منهــا ، وأقربها ما جــزم به ابن عبد البر والقابسي أنهما التقيا في البرزخ بعد وفــاة موسى ، ويؤيد ذلك قوله في احدى روايات مسلم « احتج آدم ومــوسى عند ربهما » وقد ترجم البخاري على ذلك في كتاب القدر فقــال « باب ، تحاج آدم وموسى عند الله » ٠

وأحسن ما يسلك في ذلك امرار الحديث كما جــاء مــع الايمان به ، ولو كان في تعيين وقت التفائهما فائدة تعود على المكلفين لبين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لامته ٠

وأيضا فانه لم يذكر عن أحد من الصحــابة ولا التابعين وتابعيهم وأئمة العلم والهدى من بعدهم ممن روى حــديث احتجاج آدم وموسى انهم تعرضوا لذكر الاحتمــالات في وقت التقاء آدم وموسى ولو كان في ذلك فائدة دينية لكانوا اليها أسبق وعليها أحرص ٠

وقد قال ابن الجوزي فيما نقله عنه ابن حجــر في فتح الباري ، وهذا مما يجب الايمان به لثبوته عن خبر الصادق وان لم يطلع على كيفية الحال وليس هو بأول ما يجب علينــا الايمان به وان لم نقف على حقيقة معناه كعذاب القبر ونعيمه ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات لم يبق الا التسليم، وقال ابن عبد البر مثل هــذا عندي يجب فيــه التسليم ولا يوقف فيه على التحقيق لانا لم نؤت من جنس هــذا العلم الا قليلا انتهى صفحة ٤٠٧ و ٤٠٨ ج ١١

التنبيه الخامس قال ابن محمود في صفحة ١٩ و ٢٠ و٢١ ما ملخصه :

وأما الحديث الثاني الذي يحتج به القدرية من أمثال هؤلاء فهو في الصحيحين عن ابن مسعود قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي نفس محمد بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

ان هذا الحديث كثيرا ما يجادل به الجهلة من خاصة الشباب الذين لم يعرفوا حقيقة القدر لظنهم أنهم مجبورون على أفعالهم الخيرية والشرية فيذهب فهمهم الى أن بعض الناس مكتوب لهم السعادة وهم في بطون أمهاتهم مهما عملوا من عمل وآخرون مكتوب لهم الشقاوة مهما عملوا من عمل ، فيظنون ان هذا القدر المكتوب هو عبارة عن الجبر وسلب الاختيار ، والتحقيق أن الكتابة نوعان ، كتابة هي عبارة عن سبق علم الله بالأشياء قبل وقوعها وان الله يعلم أحوال خلقه وما هم عاملون وهم في بطون أمهاتهم ، فهذه لا تتبدل ولا تتغير وتسمى كتابة الأزل ، وعلمه سبحانه لا يتعلق به اجبارهم على فعل الخير أو الشر بل هم عاملون لانفسهم مختارون لاعمالهم الصالحة والسيئة فهي كسبهم ويترتب الجزاء على ذلك .

وأما قوله ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، فمعنى سبق الكتاب اشارة الى سبق علم الله بخاتمة حياة كل انسان وذلك أن الرجل يولد مؤمنا بين أبوين مؤمنين فهو يؤمن بالله ويحافظ على فرائض الله من صلاته وصيامه وسائر واجباته وتجتنب المحرمات والمنكرات ويسير على هذه الطريقة المستقيمة غالب عمره ثم يطرأ عليه الالحاد وفساد الاعتقاد فيكذب بالقرآن ويكذب بالرسول فيرتد عن دينه فيموت على سوء الخاتمة فيدخل النار بسبب كفره والحاده الذي هو خاتمة حياته وليس سبق الكتاب الذي هو عبارة عن سبق علم الله بتطور حالة هذا الشخص هي التي حملته على الردة وعلى سوء الخاتمة وانما وقعت بفعله واختياره لنفسه ·

وأما الذي يعمل بعمل أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فهو رجل يولد كافرا ويعيش كافرا حتى اذا كان في آخر عمره تاب الى ربه واستغفر من ذنبه وأسلم فحسن اسلامه فصار يحافظ على واجباته من صلاته وصيامه وسائر عباداته حتى مات على ذلك،وفي حديث أبي سعيد مرفوعا « ان الرجل يولد مؤمنا ويعيش مؤمنا ثم يموت كافرا وان الرجل يولد كافرا ويعيش كافرا ثم يموت مؤمنا » رواه الامام أحمد ، وهذا الكفر وهذا الايمان انما فعله باختياره ورغبته انتهى كلام ابن محمود ·

وأقول هذا الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه من أدلة اثبات القدر السابق وفيه الرد على من أنكر كتابة المقادير وعلى من زعم أن الكتابة عبارة عن سبق علم الله بالأشياء قبل وقوعها وذلك لما فيه من النص على الكتابة وهو نص صريح لا يحتمل التأويل ·

قال النووي في شرح مسلم المراد بجميع ما ذكر من الرزق والأجل والشقاوة والسعادة والعمل والذكورة والأنوثة أنه يظهر ذلك للملك ويأمره بانفاذه وكتابته والا فقضاء الله تعالى سابق على ذلك وعلمه وارادته لكل ذلك موجود في الأزل قال وفي هذا الحديث تصريح باثبات القدر انتهى .

وسيأتي في كلام ابن القيم أن حديث ابن مسعود وما في معناه كلها تدل على اثبات القدر السابق .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في ذكر فوائد حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وفيه أن الاعمال حسنها وسيئها امارات وليست بموجبات وان مصير الأمور في العاقبة الى ما سبق به القضاء وجرى به القدر في الابتداء قاله الخطابي .

وقال الحافظ أيضا وفيه أن في تقدير الاعمال ما هو سابق ولاحق فالسابق ما في علم الله تعالى واللاحق ما يقدر على الجنين في بطن أمه ، كما وقع في هذا الحديث ، وهذا هو الذي يقبل النسخ ، وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة » فهو محمول على كتابة ذلك في اللوح المحفوظ على وفق مافي علم الله سبحانه وتعالى .

وقال الحافظ أيضا وفي الحديث أن الأقدار غالبة والعاقبة غائبة فلا ينبغي لاحد أن يغتر بظاهر الحال ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة انتهى .

وقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة » .

وروى مسلم أيضا عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » .

وروى ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وانه لمن أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار وانه لمن أهل الجنة » وهذه الأحاديث تؤيد حديث ابن مسعود رضي الله عنه وتدل على اثبات القدر السابق .

وأما قول ابن محمود فيذهب فهمهم الى أن بعض الناس مكتوب لهم السعادة وهم في بطون أمهاتهم مهما عملوا من عمل وآخرون مكتوب لهم الشقاء مهما عملوا من عمل .

فيقال له وما تنكر من ذلك وقد اخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه في حديث ابن مسعود المتفق على صحته ان السعادة أو الشقاوة تكتب للانسان وهو في بطن أمه ، فمن كان من أهل السعادة ختم الله له بعمل أهل السعادة ولو عمل قبل ذلك أي عمل من أعمال أهل النار ، ومن كان من أهل الشقاوة ختم الله له بعمل أهل الشقاوة ولو عمل قبل ذلك أي عمل من أعمال أهل الجنة .

ولم ينفرد ابن مسعود رضي الله عنه برواية ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم بل قد ثبت ذلك في أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

منها مافي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضي خلقها قال أي رب ذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه » .

ومنها ما رواه الامام أحمد ومسلم عن حـذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخـل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة ـ وقال سفيان مرة أو خمس وأربعين ليلة ـ فيقـول يارب مـاذا أشقي أم سعيد أذكر أم أنثى فيقول اللـه تبارك وتعـالى فيكتبان فيقولان ماذا أذكر أم أنثى فيقول اللـه عـز وجل فيكتبان فيكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فـلا يزاد على ما فيها ولا ينقص » هذا لفظ أحمد واسناده اسناد مسلم ، ولفظ مسلم قال «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يارب أشقي أو سعيد فيكتبان فيقـول أي رب أذكـر أو أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص » .

وفي رواية لمسلم عن عـامر بن واثلة رضي الله عنه أنه سمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول « الشقي من شقي في بطن أمـه والسعيد من وعظ بغيره فأتى رجـلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له حذيفـة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال وكيف يشقى رجل بغير عمل فقال له الرجل أتعجب من ذلك فـاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليهـا ملكا فصورهـا وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شـاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يارب رزقـه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخـرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص » .

وفي رواية لمسلم أيضا عن أبي الطفيل ـ وهو عامر بن واثلة رضي الله عنه ـ قال دخلت على أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم باذني هاتين يقول « ان النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك قال زهير ـ وهو أبو خيثمة أحد رواته ـ حسبته قال الذي يخلقها فيقول يارب أذكر أو أنثى فيجعله الله ذكرا أو أنثى ثم يقول يارب أسوي أو غير سوي فيجعله الله سويا أو غير سوي ثم يقول يارب ما رزقه ما أجله ما خلقه ثم يجعله الله شقيا أو سعيدا » .

ومنها ما رواه الامام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا استقرت النطفة في الرحم أربعين يوما وأربعين ليلة بعث الله اليها ملكا فيقول يارب ما أجله فيقال له فيقول يارب أذكر أم أنثى فيعلم فيقول شقي أو سعيد فيعلم » قال الهيثمي فيه خصيف وثقه ابن معين وجماعة وفيه خلاف وبقية رجاله ثقات .

ومنها ما رواه ابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا أراد الله أن يخلق نسمة قال ملك الأرحام معرضا يارب أذكر أم أنثى فيقضي الله أمره ثم يقول يارب أشقي أم سعيد فيقضي الله أمره ثم يكتب بين عينيه ما هو لاق حتى النكبة ينكبها » . وقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال عن ابن عمر رضي الله عنهما ثم قال رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، ورواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ومنها ما رواه عبد الله بن الامام أحمد وأبو بكر الآجري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

« ان الله عز وجل حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول أي رب ماذا فيقول غلام أو جارية أو ما شاء الله أن يخلق في الرحم فيقول أي رب أشقي أم سعيد فيقول شقي أو سعيد فيقول أي رب ما أجله فيقول كذا وكذا فيقول أي رب وما رزقه فيقول كذا وكذا فيقول ما خلقه ما خلائقه فيقول كذا وكذا فما من شيء الا وهو يخلق معه في الرحم » ورواه البزار قال الهيثمي ورجاله ثقات .

ومنها ما رواه البزار والطبراني في الصغير وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطنها » قال الهيثمي رجال البزار رجال الصحيح .

ومنها ما رواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله عز وجل يحي بن زكريا في بطن أمه مؤمنا وخلق فرعون في بطن أمه كافرا » ورواه الطبراني بمثله قال الهيثمي واسناده جيد .

ومنها ما رواه الامام أحمد وأبو داود الطيالسي ومسلم وأبو داود السجستاني والترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب .

وهذه الأحاديث الصحيحة تؤيد حديث ابن مسعود رضي الله عنه وتدل على أن السعادة أو الشقاوة تكتب للانسان وهو في بطن أمه . وهذه الكتابة غير الكتابة التي كانت في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة .

وقد قال شارح العقيدة الطحاوية بعد ما ذكر حديث جابر وحديث ابن عباس رضي الله عنهم في ذكر الأقلام وكتابة المقادير . قال وقد جاءت الأقلام في هذه الاحاديث وغيرها مجموعة فدل ذلك على أن للمقادير أقلاما غير القلم الأول الذي تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ ، والذي دلت عليه السنة أن الاقلام أربعة : القلم الأول العام الشامل لجميع المخلوقات وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ . القلم الثاني خبر خلق آدم وهو قلم عام أيضا لكن لبني آدم . ورد في هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم . القلم الثالث حين يرسل الملك الى الجنين في بطن أمه فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد كما ورد ذلك في الاحاديث الصحيحة. القلم الرابع الموضوع على العبد عند بلوغه الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم كما ورد ذلك في الكتاب والسنة ، واذا علم العبد أن كلا من عند الله فالواجب افراده سبحانه بالخشية والتقوى انتهى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه « شفاء العليل » بعد أن ساق حديث ابن مسعود وما في معناه كحديث أنس وحديث حذيفة بن أسيد وغيرها من الاحاديث التي فيها النص على كتابة رزق الجنين وأجله وذكورته أو أنوثته وشقاوته أو سعادته ، قال فاجتمعت هذه الاحاديث والآثار على تقدير رزق العبد وأجله وشقاوته أو سعادته وهو في بطن أمه واختلفت في وقت هذا التقدير . وهذا تقدير بعد التقدير الأول السابق على خلق السموات والارض ، وبعد التقدير الذي وقع يوم استخراج الذرية بعد خلق أبيهم آدم . ففي حديث ابن مسعود أن هذا التقدير يقع بعد مائة وعشرين يوما من حصول النطفة في الرحم . وحديث أنس غير موقت . وأما حديث حذيفة بن

أسيد فقد وقت فيه التقدير بأربعين يوما ، وفي لفظ بأربعين ليلة ، وفي لفظ ثنتين وأربعين ليلة ، وفي لفظ بثلاث وأربعين ليلة • وهو حديث تفرد به مسلم ولم يروه البخاري ، وكثير من الناس يظن التعارض بين الحديثين ولا تعارض بينهما بحمد الله وان الملك الموكل بالنطفة يكتب مايقدره الله سبحانه على رأس الاربعين الأولى حين يأخذفي الطور الثاني وهو العلقة • وأما الملك الذي ينفخ فيه فانما ينفخها بعد الاربعين الثالثة فيؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته ، وهذا تقدير آخر غير التقدير الذي كتبه الملك الموكل بالنطفة ولهذا قال في حديث ابن مسعود ثم يرسل اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات • وأما الملك الموكل بالنطفة فذاك راتب معها ينقلها باذن الله من حال الى حال فيقدر الله سبحانه شأن النطفة حين تأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق ويقدر شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوما فهو تقدير بعد تقدير • فاتفقت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق بعضها بعضا ودلت كلها على اثبات القدر السابق ومراتب التقدير انتهى •

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن الله تعالى قضى بالسعادة لبعض الناس قبل أن يخلقهم وقضى بالشقاوة لبعض الناس قبل أن يخلقهم وفي بعضها أنه كتب ذلك وهي تؤيد حديث ابن مسعود رضي الله عنه وتدل على كتابة القدر السابق وسأذكر منها ما تيسر ان شاء الله تعالى وبه الثقة •

الحديث الأول عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « فرغ الله الى كل عبد من خمس من أجله ورزقه وأثره ومضجعه وشقي أو سعيد » رواه الامام أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط قال الهيثمي واحد اسنادي أحمد رجاله ثقات ، ورواه عبد الله بن الامام

أحمد في كتاب السنة واسناده حسن ، وقد رواه ابن حبان في صحيحه ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرغ الله الى كل عبد من خمس من رزقه وأجله وعمله وأثره ومضجعه » .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال « ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة والنار والا وقد كتبت شقية أو سعيدة » قال فقال رجل يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال « اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) » رواه الامام أحمد وأبو داود الطيالسي والشيخان وأهل السنن الا النسائي وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

قال النووي في الكلام على هذا الحديث مشيرا الى جميع طرقه التي ساقها مسلم ، وفي هذه الاحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في اثبات القدر وان جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها ، قال الله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) فهو ملك لله تعالى يفعل ما يشاء ولا اعتراض على المالك في ملكه ، قال وفي هذه الأحاديث النهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر بل تجب الاعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها وكل ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره ومن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعملهم كما قال فسنيسره لليسرى وللعسرى وكما صرحت به هذه الاحاديث انتهى .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله العمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف قال « بل على أمر قد فرغ منه » قال قلت ففيم العمل يا رسول الله قال « كل ميسر لما خلق له » رواه الامام أحمد والبزار والطبراني قال الهيثمي وقال عن عطاف بن خالد حدثني طلحة بن عبدالله وعطاف وثقه ابن معين وجماعة وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات الا أن في رجال أحمد رجلا مبهما لم يسم

قلت وما يأتي من الاحاديث الصحيحة يشهد له ويقويه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أرأيت ما نعمل فيه أقد فرغ منه أو في شيء مبتدأ أو أمر مبتدع قال « فيما قد فرغ منه » فقال عمر رضي الله عنه ألا نتكل فقال « اعمل يا ابن الخطاب فكل ميسر أما من كان من أهل السعادة فيعمل للسعادة وأما أهل الشقاء فيعمل للشقاء » رواه الامام أحمد وأبو داود الطيالسي والترمذي وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح قال وفي الباب عن علي وحذيفة بن أسيد وأنس وعمران بن حصين رضي الله عنهم.

قلت : وقد تقدم ذكر أحاديثهم.

وفي رواية للترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (فمنهم شقي وسعيد) سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله فعلى ما نعمل على شيء قد فرغ منه أو على شيء لم يفرغ منه قال « بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له » قال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا رسول الله أرأيت ما نعمل أشيء فرغ منه أم شيء يستأنف قال « بل شيء قد فرغ منه » قال ففيم العمل قال « كل ميسر لما خلق له » رواه البزار قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح وقد رواه ابن حبان في صحيحه ولفظه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يارسول الله نعمل في شيء نأتنفه أم في شيء قد فرغ منه قال « في شيء قد فرغ منه » قال ففيم العمل قال « يا عمر لا يدرك ذاك الا بالعمل » قال اذا نجتهد يا رسول الله ورواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة بنحو رواية ابن حبان واسناده صحيح ٠

وعن جابر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أم لأمر نأتنفه قال « بل لأمر قد فرغ منه » قال ففيم العمل اذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل عامل ميسر لعمله » رواه ابن حبان في صحيحه ٠

وعن جابر أيضا رضي الله عنه قال جاء سراقة بن مالك ابن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل قال « لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » قال ففيم العمل فقال « اعملوا فكل ميسر » رواه الامام أحمد وأبو داود الطيالسي ومسلم وعبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة وابن حبان في صحيحه وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة ٠ وزاد ابن حبان قال سراقة فلا أكون أبدا أشد اجتهادا في العمل مني الآن ٠

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنهم قالوا يا رسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم أمر نستأنفه قال « بل أمر قد فرغ منه » قالوا فكيف بالعمل يا رسول الله قال « كل

امرىء مهيأ لما خلق له » رواه الامام أحمد وابنه عبد الله بسند حسن .

وعن ذي اللحية الكلابي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أنعمل في أمر مستأنف أو في أمر قد فرغ منه قال « بل في أمر قد فرغ منه » قال ففيم نعمل اذا قال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » رواه الامام أحمد والطبراني . قال الهيثمي ورجاله ثقات .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رجل يا رسول الله أنعمل فيما جرت به المقادير وجف به القلم أو شيء نأتنفه قال « بل بما جرت به المقادير وجف به القلم » قال ففيم العمل قال « اعمل فكل ميسر لما خلق له » رواه الطبراني والبزار بنحوه الا أنه قال في آخره فقال القوم بعضهم لبعض فالجد اذا . قال الهيثمي ورجال الطبراني ثقات .

وعن سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله أنعمل شيئا قد فرغ منه أم نستأنف العمل قال « بل لعمل قد فرغ منه » فقال يا رسول الله ففيم العمل فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كل ميسر له عمله » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الآن الجد الآن الجد » رواه الطبراني قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح وقد رواه ابن ماجه بنحوه مختصرا .

وعن أبي الأسود الدؤلي قال قال لي عمران بن الحصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم قال فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا

شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال لي يرحمكالله اني لم رد بما سألتك الا لأحزر عقلك ان رجلين من مزنية أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال « لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها) » رواه مسلم ، وقد رواه الامام أحمد وأبو داود الطيالسي بدون قصة أبي الاسود مع عمران رضي الله عنه وتقدم ذكره .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري قال عياض أورد عمران على أبي الاسود شبهة القدرية من تحكمهم على الله ودخولهم بآرائهم في حكمه فلما أجابه بما دل على ثباتهفيالدين قواه بذكر الآية وهي حد لاهل السنة . وقوله كل شيء خلق الله وملكه يشير الى أن المالك الأعلى الخالق الآمر لا يعترض عليه اذا تصرف في ملكه بما يشاء وانما يعترض على المخلوق المأمور انتهى .

وعن يحي بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري قالا لقينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فذكرنا القدر وما يقولون فيه ــ فذكر الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان وعن وقت الساعة واشراطها . قال وسأله رجل من جهينة أو مزينة فقال يا رسول الله فيما نعمل أفي شيء قد خلا أو مضى أو في شي يستأنف الآن قال « في شيء قد خلا أو مضى » فقال أو بعض القوم يا رسول الله فيما نعمل قال « أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة وأهل

النار ييسرون لعمل أهل النار » رواه الامام أحمد وأبو داود واسناد كل منهما صحيح. وقد ساق مسلم اسناده ولم يذكر لفظه .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار قال فقال « نعم » قال قيل ففيم يعمل العاملون قال « كل ميسر لما خلق له » رواه الامام أحمد وأبو داود الطيالسي والشيخان وأبو داود السجستاني وهذا لفظ مسلم . ولفظ البخاري قال رجل يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار قال « نعم » قال فلم يعمل العاملون قال « كل يعمل لما خلق له أو لما ييسر له » .

قوله أعلم قال الحافظ ابن حجر بضم العين والمراد بالسؤال معرفة الملائكة أو من اطلعه الله على ذلك انتهى .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال « أتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله الا أن تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا » فقال أصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان أمر قد فرغ منه فقال « سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وان عمل أي عمل » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما ثم قال « فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير » رواه الامام أحمد

والترمذي وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح قال وفي الباب عن ابن عمر.

وعن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتبتدأ الاعمال أم قد قضي القضاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل أخذ ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار » رواه البزار وابن جرير والطبراني وابن مرديه وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة ، قال الهيثمي واسناد الطبراني حسن.

وعن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية فقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال « ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار » رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة وقال الترمذي هذا حديث حسن وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وعن عبد الرحمن بن قتادة السلمي وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خلق الله آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فقال قائل يا رسول الله فعلى ماذا نعمل قال على مواقع القدر» رواه الامام أحمد قال الهيثمي ورجاله ثقات . ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال فيه « على موافقة القدر » وقال صحيح قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخرهم الى الصحابة ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خلق الله آدم حين خلقه وضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم فقال للذي في يمينه الى الجنة ولا أبالي وقال للذي في كفه اليسرى الى النار ولا أبالي » رواه الامام أحمد وابنه عبد الله والبزار والطبراني ، قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح .

وعن أبي بصرة أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبدالله دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي فقالوا ما يبكيك ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني » قال بلى ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله عز وجل قبض بيمينه قبضة وأخرى باليد الأخرى وقال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالي» فلا أدري في أي القبضتين أنا، رواه الامام أحمد واسناده صحيح على شرط مسلم .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في القبضتين « هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي » رواه البزار قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح غير نمر بن هلال وثقه أبو حاتم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في القبضتين « هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه » قال فتفرق الناس وهم لا يختلفون في القدر ، رواه البزار والطبراني في الصغير قال الهيثمي ورجال البزار رجال الصحيح

وعن عائشة رضي الله عنها قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبي لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه قال « أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم » رواه الامام أحمد وأبو داود الطيالسي ومسلم وأهل السنن الا الترمذي ٠

وهذه الاحاديث تؤيد حديث ابن مسعود الذي تقدم ذكره وتدل على اثبات القدر السابق ، وفي بعضها أن الله تعالى ميز بين السعداء والاشقياء من حين خلق آدم ، وهذا مما يجب الايمان به ٠

وكثير من العصريين ينكرون هذا ويكذبون بالاحاديث الواردة فيه وما ذاك الا لجهلهم بالكتاب والسنة واعراضهم عن أخذ العلم منهما ٠ وقد قال الله تعالى (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون) ٠

فان قيل فما الجمع بين ما تقدم ذكره من الاحاديث التي فيها النص على فراغ الرب تبارك وتعالى من أمر العباد وان كلا ميسر لما خلق له وبين قول الله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) ٠

فالجواب أن يقال أما ما جاء في الاحاديث التي تقدم ذكرها فهي نصوص لا تحتمل التأويل وليس في معناها اختلاف بين أهل السنة والجماعة ، وأما ما جاء في الآية الكريمة فهو مجمل . وقد اختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبت على ثمانية أقوال ذكرها ابن الجوزي في تفسيره وذكرها غيره من المفسرين ، احدها أنه عام في الرزق والأجل والسعادة والشقاوة وهذا مذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما وأبي وائل والضحاك وابن جريج .

والثاني أنه الناسخ والمنسوخ فيمحو المنسوخ ويثبت الناسخ ، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال سعيد بن جبير وقتادة والقرظي وابن زيد ، وقال ابن قتيبة (يمحو الله ما يشاء) أي ينسخ من القرآن ما يشاء (ويثبت) أي يدعه ثابتا لا ينسخه وهو المحكم .

والثالث : أنه يمحو مايشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة والحياة والموت رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ودليل هذا القول ما رواه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة يقول الملك الموكل أذكر أم أنثى فيقضي الله تعالى ويكتب الملك فيقول أشقي أم سعيد فيقضي الله ويكتب الملك فيقول عمله وأجله فيقضي الله ويكتب الملك ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها .

والرابع يمحو ما يشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة لا يغيران قاله مجاهد .

والخامس يمحو من جاء أجله ويثبت من لم يجيء أجله قاله الحسن .

والسادس يمحو من ذنوب عباده مايشاء فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها روي عن سعيد بن جبير ٠

والسابع يمحو ما يشاء بالتوبة ويثبت مكانها حسنات قاله عكرمة ٠

والثامن يمحو من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ويثبت ما فيه ثواب وعقاب قاله الضحاك وأبو صالح ٠ وقال ابن السائب القول كله يكتب حتى اذا كان في يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قولك أكلت شربت دخلت خرجت ونحوه وهو صادق ويثبت ما فيه الثواب والعقاب انتهى كلام ابن الجوزي ٠

وأولى هذه الأقوال بالصواب ما وافق الاحاديث التي تقدم ذكرها وهو ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى يمحو ما يشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة والحياة والموت ، ونصوص النبي صلى الله عليه وسلم لا تعارض بأقوال غيره من الناس كائنا من كان لانه صلى الله عليه وسلم أعلم بكتاب الله تعالى من غيره وهو الذي يبين مراد الله من كتابه كما قال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) ٠ فلو كانت الآية التي تقدم ذكرها تدل على وقوع المحو في السعادة والشقاوة والحياة والموت لبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يقل بخلافه والله أعلم ٠

فان قيل فقد روى البخاري ومسلم وأبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه » ، وروى البخاري أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم نحــــوه . وروى الامام أحمــد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى اللــه عليه وسلم أنه قال « تعلموا من انسابكم ماتصلون به ارحامكم فأن صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال منسأة في الأثر» . وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مكتوب في التوراة من سـره أن تطول حياته ويزاد في رزقه فليصل رحمه » صححه الحاكم ووافقه الذهبي على تصحيحه .

وروى الحاكم أيضا عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سره أن يمد الله في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه » .

وروى الحاكم أيضا عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أراد أن يمـــد في عمره ويبسط في رزقه فليصل رحمه » ، وروى الامام أحمــد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن ثوبان رضي اللــه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » صححه الحاكم ووافقه الذهبي عــلى تصحيحه ، وروى البخاري في الأدب المفرد عن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بر والديه طوبى له زاد الله عز وجل في عمره » وروى الامام أحمــد عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا « صلة الرحم وحسن الجوار أو حسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار » .

فالجواب أن يقال ان ظاهر هذه الاحاديث يوافق قــــول من قال ان المحو والاثبات يقع في الرزق والأجل وهو ظاهـــر ما تقدم ذكره عن مجاهد ، وللعلماء في تأويل هذه الاحاديث

أجوبة ذكرها النووي في شرح مسلم وابن حجر العسقلاني في فتح الباري ، فأما النووي فقال في شرح حديث أنس الـــذي تقدم ذكره ، قوله صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأله في اثره فليصل رحمه » ينسأ مهموز أي يؤخر ، والأثر الأجل لانه تابع للحياة في اثرها وبسط الرزق توسيعه وكثرته ، وقيل البركة فيه ، وأما التأخير في الأجــل ففيه سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ٠

وأجاب العلماء بأجوبة الصحيح منها ان هـــذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتهـــا عن الضياع في غير ذلك ٠ والثاني أنه بالنسبة الى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة الا أن يصل رحمه فان وصلها زيد له أربعون وقــد علم الله سبحانه وتعـــالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى (يمحو اللـــه ما يشاء ويثبت) فبالنسبة الى علم الله تعالى ومـــا سبق به قدره لا زيادة بل هي مستحيلة وبالنسبة الى ماظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث ، والثالث أن المراد بقـــاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت حكاه القاضي وهو ضعيف أو باطل والله أعلم انتهى ٠

وأما الحافظ ابن حجر فقـــال في شرح حديث أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما ٠ قوله « وينسأ » بضم أوله وسكون النون بعدها مهملة ثم همزة أي يؤخر ، قوله « في أثره » أي في أجله وسمي الأجل أثرا لانه يتبع العمـــر ، قـــال ابن التين ظاهر الحديث يعارض قوله تعـــالى (فـــاذا جـــاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) والجمع بينهما من وجهين أحدهما أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمـــر بسبب

التوفيق للطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخـرة وصيانته عن تضييعه في غير ذلك ، ومثل هذا ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته بالنسبة لاعمـــار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر ، وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعـــده الذكر الجميل فكأنه لم يمت ، ومن جملة ما يحصل لـــه من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح ٠

ثانيهما : أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة الى علم الملك الموكل بالعمر ، وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة الى علم الله تعالى كأن يقال للملك مثلا ان عمر فـلان مائة ان وصل رحمه وستون ان قطعها ٠ وقد سبق في علم اللـــه أنه يصل أو يقطع ، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص واليه الاشارة بقوله تعالى (يمحو الله مـا يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فالمحو والاثبات بالنسبة لما في علم الملك ، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة ، ويقال له القضـــاء المبرم ، ويقال للأول القضاء المعلق ، والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب فان الأثر ما يتبع الشيء فـــاذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور، وقال الطيبي الوجه الأول أظهر واليه يشير كلام صاحب الفائق ، قال ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيـا طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم ، ولما أنشد أبو تمام قوله في بعض المراثي :

توفيت الآمـــال بعد محمـــد
وأصبح في شغل عن السفر السفر

قال له أبو دلف لم يمت من قيل فيه هـــذا الشعر ، ومن هذه المادة قول الخليل عليــه السلام (واجعل لي لسان صدق

في الآخرين) وقد ورد في تفسيره وجه ثالث فأخرج الطبراني في الصغير بسند ضعيف عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصل رحمه أنسيء له في أجله فقال « انه ليس زيادة في عمره قال الله تعالى (فاذا جاء أجلهم) الآية ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده » وله في الكبير من حديث أبي مشجعة الجهني رفعه « ان الله لا يؤخر نفسا اذا جاء أجلها وانما زيادة العمر ذرية صالحة » الحديث . وجزم ابن فورك بان المراد بزيادة العمر نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله وقال غيره في أعم من ذلك وفي وجود البركة في رزقه وعلمه ونحو ذلك انتهى .

وقد روى ابن أبي حاتم حديث أبي مشجعة ابن ربعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصل رحمه انسيء له في أجله فقال « ان الله لا يؤخر شيئا اذا جاء أجله وانما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر » .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في الكلام على حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال « ان أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله ان أحدكم ـ أو الرجل ـ ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها

غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » . فيه ان السعيد قد يشقى وان الشقي قد يسعد لكن بالنسبة الى الاعمال الظاهرة ، وأما ما في علم الله تعالى فلا يتغير ، وفيه أن الاعتبار بالخاتمة ، قال ابن أبي جمرة هذه التي قطعت أعناق الرجال مع ما هم فيه من حسن الحال لانهم لا يدرون بماذا يختم لهم ، وفيه أن عموم مثل قوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم) الآية مخصوص بمن مات على ذلك ، وان من عمل عمل السعادة وختم له بالشقاء فهو في طول عمره عند الله شقي وبالعكس ، وما ورد مما يخالفه يؤول الى أن يؤول الى هذا ، وقد اشتهر الخلاف في ذلك بين الاشعرية والحنفية وتمسك الاشاعرة بمثل هذا الحديث، وتمسك الحنفية بمثل قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وأكثر كل من الفريقين الاحتجاج لقوله . والحق أن النزاع لفظي وان الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي فيقع فيه المحو والاثبات كالزيادة في العمر والنقص ، وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا اثبات والعلم عند الله انتهى .

وقد جاء في حديث صحيح ان ما سبق به القضاء والقدر من الرزق والأجل لا يتغير ولا يتبدل فروى مسلم في صحيحه عن المعرور بن سويد عن عبد الله قال قالت أم حبيبه زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها اللهم امتعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم « قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئا قبل حله أو يؤخر شيئا عن حله ولو كنت سألت

الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرا وأفضل » ·

قال النووي في شرح مسلم هذا الحـــديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه في الأزل فيستحيل زيادتها ونقصها حقيقة عن ذلك،وأما ما ورد في حديث صلة الرحم تزيد في العمر ونظائره فقد سبق تأويله في باب صلة الأرحام واضحا ، قال المازري هنا قــد تقـرر بالدلائل القطعية ان الله تعالى أعلم بالآجال والأرزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله تعالى ان زيدا يموت سنة خمسمائة استحال أن يمــوت قبلها أو بعدها لئلا ينقلب العلم جهلا فاستحال أن الآجال التي علمهـا الله تعالى تزيد وتنقص فيتعين تأويل الزيادة انهـا بالنسبة الى ملك الموت أو غيره ممن وكله الله بقبض الأرواح وأمـره فيها بآجال ممدودة فانه بعد أن يأمره بذلك أو يثبته في اللوح المحفوظ ينقص منه ويزيد على حسب ما سبق به علمـــه في الأزل وهو معنى قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وعلى ما ذكرناه يحمل قوله تعالى (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) ·

واعلم أن مذهب أهل الحق أن المقتول مات بأجله وقـالت المعتزلة قطع أجله ، فان قيل ما الحكمة في نهيها عن الدعـــاء بالزيادة في الأجل لانه مفروغ منه وندبها الى الدعاء بالاستعاذة من العذاب مع أنه مفروغ منه أيضا كالأجل ، فالجـــواب أن الجميع مفروغ منه لكن الدعاء بالنجاة من عـذاب النار ومن عذاب القبر ونحوهما عبادة وقد أمر الشرع بالعبادات فقيل ألا نتكل على كتابنا وما سبق لنا من القدر فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » وأما الدعاء بطول الأجل فليس عبادة وكما لا يحسن ترك الصلاة والصوم والذكر اتكالا على القدر فكذا الدعاء بالنجاة من النار ونحوه والله أعلم انتهى ·

وقد سئل شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى عن الحديث الذي ورد « ان الله قبض قبضتين فقال هذه للجنة ولا أبالي وهذه للنار ولا أبالي » فهل هذا الحديث صحيح والله قبضها بنفسه أو أمر أحدا من الملائكة بقبضها، والحديث الآخر في « ان الله لما خلق آدم أراه ذريته عن اليمين والشمال ثم قال هؤلآء الى النار ولا أبالي وهؤلآء الى الجنة ولا أبالي » وهذا في الصحيح .

فأجاب رحمه الله تعالى نعم هذا المعنى مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة مثل ما في موطأ مالك وسنن أبي داود والنسائي وغيره عن مسلم بن يسار وفي لفظ عن نعيم بن ربيعة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية ـ فذكر الحديث وقد تقدم ذكره قريبا ـ قال وفي حديث الحكم بن سفيان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله قبض قبضة فقال الى الجنة برحمتي وقبض قبضة فقال الى النار ولا أبالي » .

وهذا الحديث ونحوه فيه فصلان أحدهما القدر السابق وهو أن الله سبحانه علم أهل الجنة من أهل النار من قبل أن يعملوا الاعمال ، وهذا حق يجب الايمان به ، بل قد نص الائمة كما لك والشافعي وأحمد أن من جحد هذا فقد كفر ، بل يجب الايمان أن الله علم ما سيكون كله قبل أن يكون ، ويجب الايمان بما أخبر به من أنه كتب ذلك وأخبر به قبل أن يكون كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين

ألف سنة وكان عرشه على الماء » ـ وذكر الشيخ أيضا حديث عمران بن حصين الذي فيه « كان اللـــه ولم يكن شيء غيره وكتب في الذكر كل شيء » وقد تقدم ذكره ، وذكر أيضـــا حديث العرباض بن سَارية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته » الحديث ، وذكر أيضا حديث ميسرة الفجر قلت يا رسول الله متى كتبت نبيا . وفي لفظ متى كنت نبيا قال « وآدم بين الروح والجسد » .

وذكر أيضا حديث ابن مسعود رضي الله عنه فيما يكتب للجنين وهو في بطن أمه وقد تقدم ذكره ، وذكر أيضا حديث علي بن أبي طالب الذي فيه « ما منكم من أحد الا وقـد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة » وقد تقدم ذكره ، وذكـر أيضا الحديث الذي فيه أنه قيل يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار فقال « نعم » فقيل له ففيم العمل قال « اعمـلوا فكل ميسر لما خلق له » ثم قال فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الله علم أهل الجنة من أهـل النار وانه كتب ذلك ونهاهم أن يتكلوا على هذا الكتاب ويدعو العمل كما يفعله الملحـدون وقال : كل ميسر لما خلق له ، وان أهل السعادة ميسرون لعمل أهل السعادة وأهل الشقاوة ميسرون لعمل أهـل الشقاوة ، وهذا من أحسن ما يكون من البيان ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يعلم الأمور على ما هي عليه وهـو قـــد جعل للاشياء أسبابا تكون بها فيعلم أنها تكون بتلك الاسباب كمـا يعلم أن هذا يولد له بأن يطأ امرأة فيحبلها ، فلو قال هـذا اذا علم الله أنه يولد لي فلا حاجة الى الوطء كان أحمق لان اللـه علم أن سيكون بما يقدره من الوطء ، وكذلك اذا علم أن هـــذا ينبت له الزرع بما يسقيه من الماء ويبذره من الحب فلو قال اذا علم أن سيكون فلا حاجة الى البذر كان جاهـــلا ضالا لان

الله علم أن سيكون بذلك ، وكذلك اذا علم الله أن هذا يشبع بالأكل وهذا يروى بالشرب وهذا يموت بالقتل فلابد من الاسباب التي علم الله أن هذه الأمور تكون بها ، وكذلك اذا علم أن هذا يكون سعيدا في الآخرة وهذا يكون شقيا في الآخرة قلنا ذلك لانه يعمل بعمل الاشقياء ، فالله علم أنه يشقى بهذا العمل ، فلو قيل هو شقي وان لم يعمل كان باطلا لان الله لا يدخل النار أحدا الا بذنبه كما قال تعالى (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) فاقسم أنه يملؤها من ابليس وأتباعه ، ومن اتبع ابليس فقد عصى الله تعالى ولا يعاقب الله العبد على ما علم أنه يعمله حتى يعمله .

ولهذا لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » يعني ان الله يعلم ما يعملون لو بلغوا . وقد روي أنهم في القيامة يبعث اليهم رسول فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ، فيظهر ما علمه فيهم من الطاعة والمعصية .

وكذلك الجنة خلقها الله لاهل الايمان به وطاعته فمن قدر انه يكون منهم يسره للايمان والطاعة ، فمن قال أنا أدخل الجنة سواء كنت مؤمنا أو كافرا اذا علم اني من أهلها كان مفتريا على الله في ذلك فان الله انما علم أنه يدخلها بالايمان فاذا لم يكن معه ايمان لم يكن هذا هو الذي علم الله انه يدخل الجنة ، بل من لم يكن مؤمنا بل كافرا فان الله يعلم أنه من أهل النار لا من أهل الجنة .

ولهذا أمر الناس بالدعاء والاستعانة بالله وغير ذلك من الاسباب ، ومن قال أنا لا أدعو ولا أسأل اتكالا على القدر كان مخطئا أيضا لان الله جعل الدعاء والسؤال من الاسباب التي ينال بها مغفرته ورحمته وهداه ونصره ورزقه ، واذا قدر

للعبد خيرا يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء ، وما قــدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم فانما قــدره بأسباب يسوق المقادير الى المواقيت فليس في الدنيا والآخرة شيء الا بسبب ، والله خالق الأسباب والمسببات ٠

ولهذا قال بعضهم الالتفات الى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن تكون أسبابا نقص في العقــل ، والاعراض عن الاسباب بالكلية قــدح في الشرع ، ومجــرد الاسباب لا يوجب حصول المسبب فان المطر اذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافيا فيحصول النبات بل لا بد منريح مربية باذن الله، ولابد من صرف الآفات عنه ، فلابد من تمام الشروط وزوال الموانع ، وكل ذلك بقضاء الله وقدره ، وكذلك الولد لا يوجد بمجرد انزال الماء في الفرج ، بل كم من انزل ولم يولد له بل لابد من أن الله شاء خلقه فتحبل المرأة وتربيهفيالرحم وسائر ما يتم به خلقه من الشروط وزوال المــوانع ، وكذلك أمــر الآخرة ليس بمجرد العمــل ينال الانسان السعادة بل هي سبب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « انه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » وقد قال (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) فهــذه الباء باء السبب ، أي بسبب أعمالكم ، والذي نفاه النبي صلى الله عليه وسلم باء المقابلة كما يقال اشتريت هذا بهذا ، أي ليس العمل عوضــا وثمنا كافيا في دخول الجنة بل لابد من عفو الله وفضله ورحمتــه ، فبعفوه يمحو السيئات ، وبرحمته يأتي بالخيرات ، وبفضله يضاعف البركات ٠

وفي هذا الموضع ضل طائفتان من الناس ، فريق آمنــوا بالقدر وظنوا أن ذلك كاف في حصول المقصود فاعرضوا عن الاسباب الشرعية والاعمال الصالحة وهؤلاء يؤول بهم الامر

الى أن يكفروا بكتب الله ورسله ودينه، وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم، وكما يطلبه المماليك، وهؤلاء جهال ضلال فان الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة اليه، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به. ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم، وهو سبحانه كما قال «يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني» فالملك اذا أمر مملوكيه بأمر أمرهم لحاجته اليهم وهم فعلوه بقوتهم التي لم يخلقها لهم فيطالبون بجزاء ذلك، والله تعالى غني عن العالمين.

فان أحسنوا أحسنوا لانفسهم وان أساءوا فعليها، لهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) ـ الى أن قال ـ فمن اعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد ناظرا الى القدر فقد ضل، بل المؤمن كما قال تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) فنعبده اتباعا للامر ونستعينه ايمانا بالقدر، فمن ظن أنه يطيع الله بلا معونته كما يزعم القدرية والمجوسية فقد جحد قدرة الله التامة ومشيئته النافذة وخلقه لكل شيء.

ومن ظن أنه اذا أعين على ما يريد ويسر له ذلك كان محمودا سواء وافق الامر الشرعي أو خالفه فقد جحد دين الله وكذب بكتبه ورسله ووعده ووعيده واستحق من غضبه وعقابه أعظم مما يستحقه الأول، فان العبد قد يريد ما يرضاه ويحبه ويأمر به ويقرب اليه، وقد يريد ما يبغضه الله ويكرهه ويسخطه وينهى عنه ويعذب صاحبه، فكل من هذين قد يسر له ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «كل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل

أهل الشقاوة » ، ولما كان العبد ميسرا لما لا ينفعه ، بل يضره من معصية الله والبطر والطغيان وقد يقصد عبادة الله وطاعته والعمل الصالح فلا يتأتى له ذلك أمر في كل صلاة أن يقول (اياك نعبد واياك نستعين) ، والعبد له في المقدور حالان حال قبل القدر وحال بعده فعليه قبل المقدور أن يستعين بالله ويتوكل عليه ويدعوه فاذا قدر المقدور بغير فعله فعليه أن يصبر عليه أو يرضى به ، وان كان بفعله وهو نعمة حمد الله على ذلك ٠ وان كان ذنبا استغفر اليه من ذلك ٠

وله في المأمور حالان حال قبل الفعل وهو العزم على الامتثال والاستعانة بالله على ذلك ، وحال بعد الفعل وهو الاستغفار من التقصير وشكر الله على ما أنعم به من الخير ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان أصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان » فأمره اذا أصابته المصائب أن ينظر الى القدر ولا يتحسر على الماضي بل يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وان ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فالنظر الى القدر عند المصائب والاستغفار عند المعائب قال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال علقمة وغيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم انتهى كلامه ملخصا ٠

وقال شيخ الاسلام أيضا في جواب آخر ، وأما الاقرار بتقدم علم الله وكتابه لافعال العباد فهذا لم ينكره الا الغلاة من القدرية وغيرهم والا فجمهور القدرية من المعتزلة وغيرهم يقرون بان الله علم ما العباد فاعلون قبل أن يفعلوه ويصدقون

بما أخبر به الصادق المصدوق من أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم كما ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وذكر الشيخ أيضا حديث عمران بن حصين « كان الله ولم يكن شيء قبله وكتب في الذكر كل شيء » وحديث ابن مسعود « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه » وقد تقدم ذكرهما ثم قال ـ فهذا يقر به أكثر القدرية وانما ينكره غلاتهم كالذين ذكروا لعبدالله بن عمر في الحديث الذي رواه مسلم في أول صحيحه بحيث قيل له « قبلنا أقوام يقرءون القرآن ويتقفرون العلم يزعمون أن لا قدر وان الأمر أنف ، قال فاذا لقيت أولئك فاخبرهم اني بريء منهم وانهم مني براء » ولهذا كفر الائمة كمالك والشافعي وأحمد من قال ان الله لم يعلم أفعال العباد حتى يعملوها ، بخلاف غيرهم من القدرية انتهى من صفحة ٤٢٩ و ٤٣٠ ج ٨ مجموع الفتاوى .

وقال شيخ الاسلام أيضا في جواب آخر ،وأما كون الاشياء معلومة لله قبل كونها فهذا حق لا ريب فيه ، وكذلك كونها مكتوبة عنده أو عند ملائكته كما دل على ذلك الكتاب والسنة وجاءت به الآثار ، وهذا العلم والكتاب هو القدر الذي ينكره غالية القدرية ويزعمون أن الله لا يعلم أفعال العباد الا بعد وجودها وهم كفار ، كفرهم الائمة كالشافعي وأحمد وغيرهما انتهى من صفحة ١٥٢ ج ٢ مجموع الفتاوى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الباب السابع من كتابه « شفاء العليل » يسبق الى افهام كثير من الناس أن القضاء والقدر اذا كان قد سبق فلا فائدة في الاعمال وان ما قضاه الرب سبحانه وقدره لابد من وقوعه فتوسط العمل لا فائدة

فيه ، وقد سبق ايراد هذا السؤال من الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم فأجابهم بما فيه الشفاء والهدى .

ثم ذكر ابن القيم حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي فيه « اعملوا فكل ميسر » وحديث جابر في سؤال سراقة ابن مالك بن جعشم ، وحديث عمران بن حصين الـــذي فيه « أعلم أهل الجنة من أهل النار » وحديثه أيضا في سؤال الجهني أو المزني ، وحديث ابن عمران عمر رضي الله عنه قال يا نبي الله على م نعمل . وقد تقدم ذكر هذه الاحــاديث قريبا فلتراجع ، ثم قال ابن القيم رحمه اللــــه تعالى فاتفقت هذه الاحـــاديث ونظائرها على أن القـــدر السابق لا يمنع العمـــل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد ، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال ما كنت أشد اجتهادا مني الآن .

وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة افهامهم وصحة علومهم فان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالاسباب ، فان العبد ينال ما قدر لـــه بالسبب الذي أقـــدر عليه ومكن منه وهيء لـــه فـــاذا أتى بالسبب أوصله الى القدر الذي سبق له في أم الكتاب وكلمـا زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى اليه . وهذا كما اذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه فانه لا ينال ذلك الا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه ، واذا قدر له أن يرزق الولـــد لم ينل ذلك الا بالنكاح أو التسري والوطء ، واذا قدر له أن يستغل من أرضه من المغل كذا وكذا لم ينله الا بالبذر وفعل أسباب الزرع ، واذا قدر الشبع والري فذلك موقوف على الاسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب ، وهذا شأن أمور المعاش والمعاد فمن عطل العمل اتكالا على القـــدر السابق فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالا على ما قدر له .

وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الاسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية ، بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات فهكذا الأسباب التي بها مصالحهم الأخروية في معادهم فانه سبحانه رب الدنيا والآخرة وهو الحكيم بما نصبه من الاسباب في المعاش والمعاد وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة فهو مهيأ له ميسر له ، فاذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالاسباب الموصلة اليها كان أشد اجتهادا في فعلها من القيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه ، وقد فقه هذا كل الفقه من قال ما كنت أشد اجتهادا مني الآن .

فان العبد اذا علم أن سلوك هذا الطريق يفضي به الى رياض مونقة وبساتين معجبة ومساكن طيبة ولذة ونعيم لا يشوبه نكد ولا تعب كان حرصه على سلوكها واجتهاده في السير فيها بحسب علمه بما يفضي اليه ـ الى أن قال ـ فالقدر السابق معين على الاعمال وما يحث عليها ومقتض لها ، لا انه مناف لها وصاد عنها ، وهذا موضع مزلة قدم ، من ثبتت قدمه فاز بالنعيم المقيم ومن زلت قدمه عنه هوى الى قرار الجحيم .

فالنبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة في القدر الى أمرين هما سببا السعادة ، الايمان بالاقدار فانه نظام التوحيد ، والاتيان بالاسباب التي توصل الى خيره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع ، فأرشدهم الى نظام التوحيد والأمر فأبى المنحرفون الا القدح بانكاره في أصل التوحيد أو القدح باثباته في أصل الشرع ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والأمر ، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، والنبي

صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على جمع هـذين الأمرين للامة ، وقد تقدم قوله « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » وان العاجز من لم يتسع للأمرين انتهى .

وأما قول ابن محمود والتحقيق أن الكتابة نوعان كتابة هي عبارة عن سبق علم الله بالأشياء قبل وقوعها وان الله يعلم أحوال خلقه وما هم عاملون وهم في بطون أمهاتهم فهذه لا تتبدل ولا تتغير وتسمى كتابة الأزل .

فجوابه من وجوه أحدها أن يقال ليس ما ذكره بتحقيق وانما هو في الحقيقة تخليط وتلبيس كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى .

الوجه الثاني أن ما ذهب اليه من تنويع الكتابة فيما يتعلق بالجنين لا أصل له ولم يسبقه أحد الى هـذا التنويع الباطل .

يوضح ذلك الوجه الثالث وهو أن العلم القائم بالذات لا يسمى كتابة وانما يسمى علما فقط ، ولا أعلم أحدا سبق ابن محمود الى القول بان العلم القائم بالذات يسمى كتابة ولا أظن أن عاقلا يوافقه على هذه التسمية المحدثة .

الوجه الرابع أن ابن محمود زعم أن الكتابة نوعان ولم يذكر سوى سبق علم الله بالاشياء قبل وقوعها وزعم انها تسمى كتابة الأزل ولم يذكر النوع الثاني فصار أحد نوعيه باطلا والآخر معدوما .

الوجه الخامس أن النبي صلى الله عليه وسلم نص في حديث ابن مسعود رضي الله عنه على أن الملك يرسل الى الجنين اذا تم له مائة وعشرون يوما فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات

بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، ونص أيضا في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن الملك يقول يارب أشقي أو سعيد فيكتبان فيقول أي رب أذكر أو أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص ، وفي رواية أن الملك يقول يارب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يارب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص .

وفي النصوص على كتابة الملك لما يقضي الله في الجنين وعلى طي الصحف وخروج الملك بها في يده وانه لا يزيد على ما أمر به ولا ينقص أبلغ رد على ما ابتدعه ابن محمود وخالف به أهل السنة والجماعة حيث زعم أن هذه الكتابة عبارة عن سبق علم الله بالأشياء قبل وقوعها وان الله يعلم أحوال خلقه وما هم عاملون وهم في بطون أمهاتهم .

الوجه السادس ان يقال لا شك أن الله تعالى عالم بالاشياء قبل وقوعها وانه يعلم أحوال خلقه وما هم عاملون قبل أن يخلقهم ، وعلمه تبارك وتعالى بجميع الأشياء صفة من صفاته ، وأما الكتابة فهي فعل الملك يكتب ما أمره الله به من أمر الجنين ثم يطوي الصحيفة التي كتب فيها ويخرج بها في يده فلا يزيد على ما أمر به ولا ينقص ، وفعل الملك مخلوق وصحيفته مخلوقة ومع ذلك فقد زعم ابن محمود أن كتابة الملك لما يتعلق بالجنين هي عبارة عن سبق علم الله بالاشياء قبل وقوعها فجعل المخلوق صفة من صفات الله وهذا غاية التخليط والتلبيس .

الوجه السابع أن يقال ان الأزلي هو القديم الذيلم يزل، قال ابن منظور في لسان العرب الأزل بالتحريك القـــدم قال أبو منصور ومنه قولهم هذا شيء أزلي أي قديم وذكر بعض أهل العلم ان أصل هذه الكلمة قولهم للقديم لم يزل ثم نسب الى هذا فلم يستقم الا بالاختصار فقالوا يزلي ثم أبدلت الياء ألفا لانها أخف فقالوا أزلي انتهى ٠

واذا علم أن الأزل هو القدم وان الأزلي هو القديم الذي لم يزل فلا يخفى مافي قول ابن محمود من الخطأ والتخليطحيث زعم أن كتابة الملك لما يتعلق بالجنين وهو في بطن أمه تسمى كتابة الأزل ٠

الوجه الثامن أن يقال ان كتابة المقـــادير ليست بأزلية وانمـــا كانت قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقد تقدم ذكره ، وهذه الكتابة هي كتابة المقادير في اللوح المحفوظ ، واذا كانت الكتابة السابقة على خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ليست أزليـــة فمن باب أولى نفي الأزلية عن كتابة ما يتعلق بالجنين وهو في بطن أمه ٠

الوجه التاسع أنه يلزم على القول بان كتابة المقادير أزلية ان يكون القلم واللوح المحفوظ أزليين وان تكون الصحيفـــة التي يكتب فيها الملك مـــا يتعلق بالجنين وهو في بطن أمـــه أزلية ، وهذا موافق لقول الفلاسفة القائلين بقدم العـــالم ، والقول بقدم العالم كفر بلا نزاع ٠

وأما قول ابن محمود وعلمه سبحانه لا يتعلق به اجبارهم على فعل الخير أو الشر بل هم عـــاملون لانفسهم مختـــارون لاعمالهم الصالحة والسيئة فهي كسبهم ويترتب الجزاء عـــلى ذلك ٠

فجوابه أن يقال ان جميع ما يفعله العباد من خير أو شر وما يعملونه من أعمال صالحة أو سيئة فكل ذلك قد سبق به القضاء والقدر وكتب في اللوح المحفوظ وكتبه أيضا الملك الذي يرسله الله الى الجنين وهو في بطن أمه ، فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وكل ميسر لما خلق له من سعادة أو شقاوة . ومن زعم أن العباد يعملون على أمر مبتدأ لم يسبق به القضاء والقدر ولم يكتب في اللوح المحفوظ ولم يكتبه الملك الموكل بالجنين فهو من القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة .

وأما قوله فمعنى سبق الكتاب اشاره الى سبق علم الله بخاتمة حياة كل انسان .

فجوابه من وجهين أحدهما أن يقال أما قوله ان سبق الكتاب اشارة الى سبق علم الله بخاتمة حياة كل انسان فهو خطأ ظاهر لما يلزم عليه من الغاء النص الصريح في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن الله تبارك وتعالى يرسل الملك الى الجنين فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، والغاء ما جاء في حديث حذيفة ابن أسيد رضي الله عنه أن الملك يقول يارب أشقي أو سعيد فيكتبان فيقول أي رب أذكر أو أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص وفي رواية ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص ، ففي هذا الحديث الصحيح النص على الكتابة وعلى الصحف التي يكتب الملك فيها ما يقضي الله في الجنين وانها تطوى ويخرج الملك بها في يده .

وعلى قول ابن محمود تكون كتابة الملك والصحف التي يكتب فيها ثم يطويها ويخرج بها في يده اسما لا مسمى له ولفظا لا معنى له ، وأن تكون النصوص على الكتابة والصحف

وطيها وخروج الملك بها في يده لغوا لا فائدة في ذكره ، ومالزم عليه ما ذكرنا فهو قول سوء يجب اطراحه ورده ٠

الوجه الثاني أن يقال لا شك أن الله عالم بخاتمة حياه كل انسان ، وعلمه بذلك أزلي لا أول له ، وأما كتابة الملك لما يتعلق بالجنين وهو في بطن أمه فكان أولها حين حملت حواء بأول أولادها ولا تزال مستمرة لكل جنين الى يوم القيامة ، ومن جعل هذه الكتابة وعلم الله الأزلي شيئا واحدا فقد جمع بين ما فرق الله بينه وتأول كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير ما يراد به ٠

وأما قوله عن الذي يختم له بسوء الخاتمة انه الرجل يولد مؤمنا بين أبوين مؤمنين فهو يؤمن بالله ويحافظ على فرائض الله من صلاته وصيامه وسائر واجباته ويجتنب المحرمات والمنكرات ويسير على هذه الطريقة المستقيمة غالب عمره ثم يطرأ عليه الالحاد وفساد الاعتقاد فيكذب بالقرآن ويكذب بالرسول فيرتد عن دينه فيموت على سوء الخاتمة فيدخل النار بسبب كفره والحاده الذي هو خاتمة حياته ، وليس سبق الكتاب الذي هو عبارة عن سبق علم الله بتطور حالة هذا الشخص هي التي حملته على الردة وعلى سوء الخاتمة وانما وقعت بفعله واختياره لنفسه ٠

فجوابه أن يقال ليس من شرط الذي يختم له بسوء الخاتمة أن يولد بين أبوين مؤمنين كما قاله ابن محمود ، بل قد يولد بين أبوين كافرين ثم يسلم وقد يولد بين أبوين أحدهما مسلم والآخر كافر ويكون هو مسلما وقد يولد بين أبوين مسلمين وينشأ على الاسلام ويعمل بعمل أهل الجنة فاذا كان في آخر عمره عمل بعمل أهل النار فدخل النار، وانما يسير في جميع أحواله وأعماله الصالحة والطالحة منذ نشأته

الى حين موته على وفق ما سبق به القضاء والقـــدر وكتب في اللوح المحفوظ ثم كتبه الملك الموكل به وهو في بطن أمه ، فما أصابه لم يكن ليخطئه ومـــا أخطأه لم يكن ليصيبه ، وليس معنى هذا أنه مجبر على شيء من أعماله وانمـا هـــو يعمل باختياره ورغبته ، وأعماله الاختيارية تؤدي به الى موافقـة القضاء والقـــدر ٠

وقد روى البزار والطبراني في الصغير والكبيرعن العرس ابن عميرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى اللـه عليه وسلم يقول « ان العبد ليعمل البرهة بعمل أهل النار ثم تعرض له الجادة من جواد الجنة فيعمل بها حتى يموت عليها وذلك لما كتب له وان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة البرهـة من دهره ثم تعرض له الجادة من جواد أهل النار فيعمل بهـا حتى يموت عليها وذلك لما كتب له » قال الهيثمي رجـــالهم ثقات ٠

وأما قوله وأما الذي يعمل بعمل أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فهو رجل يولد كافرا ويعيش كافرا حتى اذا كان في آخر عمره تاب الى ربه واستغفر من ذنبه واسلم فحسن اسلامه فصار يحافظ على واجباته من صلاته وصيامه وسائر عباداته حتى مات على ذلك ٠

فجوابه أن يقال ليس من شرط الذي يختم لـــه بحسن الخاتمة أن يولد كافرا ويعيش كافرا بل قد يولد بين أبوين مسلمين وينشأ على الاسلام والاعمال الصالحة ثم يخالف ذلك الى العمل بأعمال أهل النار فاذا كان في آخر عمره عمل بأعمال أهل الجنة فدخل الجنة ، وقد يكون كافرا في أول عمـــره ثم يسلم ثم يرتد عن الاسلام أو يعمل أعمالا توجب له النار فاذا كان في آخر عمره عمل بأعمال أهل الجنة فدخل الجنة ، وانما

يسير في جميع أحواله وأعماله على وفق ما سبق به القضاء والقدر كما تقدم تقريره ، فالايمان بالقدر ركن من أركان الايمان ولا يكون العبد مؤمنا حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ٠

وأما قوله وفي حديث أبي سعيد مرفوعا « ان الرجل يولد مؤمنا ويعيش مؤمنا ثم يموت كافرا وان الرجل يولد كافرا ويعيش كافرا ثم يموت مؤمنا » رواه الامام أحمد ٠

فجوابه أن أقول قد تصفحت أحاديث أبي سعيد رضي الله عنه في مسند الامام أحمد فلم أجد هذا الحديث فيه ولا أدري من أين جاء به ابن محمود ، وقد ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم «ان العبد يولد مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا وان العبد يولد كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ، والعبد يعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت كافرا والعبد يعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيدا » رواه الطبراني في الاوسط والكبير باختصار قال الهيثمي وفيه عمر بن ابراهيم العبدي وقد وثقه غير واحد وقال ابن عدي حديثه عن قتادة مضطرب ، قال الهيثمي وهذا منها انتهى ٠

ومع ما في هذا الحديث من الضعف في اسناده ففي بعض منه نظر وذلك في قوله ٠ ان العبد يولد كافرا ٠ ومثله في الحديث الذي ذكره ابن محمود ، وهذا مخالف للحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من مولود يولد الا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) » رواه مالك

وأحمد وأبو داود الطيالسي والشيخان وأبو داود السجستاني والترمذي وقال هذا حديث صحيح ، وفي رواية لاحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يولد مولود الا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يشركانه » . وروى الامام أحمد أيضا عن الاسود بن سريع وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك ، وروى ابن حبان في صحيحه حديث الاسود ابن سريع رضي الله عنه .

وفي الفطرة أقوال للعلماء أقربها ما وافق قول الله تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية الامام أحمد « لا يولد مولود الا على هذه الملة » وفي حديث الاسود بن سريع عند ابن حبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من مولود يولد الا على فطرة الاسلام حتى يعرب » ولو صح حديث ابن مسعود الذي فيه أن العبد يولد كافرا لم يكن معناه مخالفا لما دلت عليه الاحاديث الصحيحة من كون المولود يولد على الفطرة لان معنى قوله يولد كافرا أنه قد سبق في علم الله أنه يكون كافرا وأن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

وأما قول ابن محمود وهذا الكفر وهذا الايمان انما فعله باختياره ورغبته .

فجوابه أن يقال ان كل ما يفعله بنو آدم باختيارهم ورغبتهم فقد سبق به القضاء والقدر وكتب ذلك في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكتبه الملك الموكل بالجنين وهو في بطن أمه ، فلا يؤمن أحد الا بقضاء وقدر ولا يكفر أحد الا بقضاء وقدر ، فجميع الأمور

جارية على وفق القضاء والقدر ، وكل ميسر لما خلق له ، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ، ومن زعم أن أحدا من بني آدم يؤمن أو يكفر باختياره ورغبته ولم يسبق بذلك القضاء والقدر ولم يكتب في اللوح المحفوظ ولم يكتبه الملك الموكل بالجنين وهو في بطن أمه فهومنالقدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة وهم الذين يزعمون أن الأمر أنف أي مستأنف لم يسبق به القضاء والقدر ، وقد تبرأ ابن عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم من القدرية وصرح الشافعي وأحمد وغيرهما من الأئمة بتكفير غلاتهم وهم الذين ينكرون العلم والكتاب ، وقد تقدم بيان ذلك في عدة مواضع من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، ومن سلك سبيل القدرية فهو ملحق بهم في كل ما ذكرنا ، فليحذر المؤمن الناصح لنفسه من موافقتهم لئلا ينسلخ من دينه وهو لا يشعر .

وقد روى الترمذي وابن ماجه والحاكم في مستدركه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » قال الترمذي هذا حديث غريب وصححه الحاكم وقال الذهبي في تلخيصه صحيح على لين .

وهذا آخر ما تيسر ايراده في الرد على رسالة ابن محمود التي سماها « الايمان بالقضاء والقدر على طريقة أهل السنة والأثر » .

وليعلم أن الكلام في القدر مزلة اقدام ومضلة افهام لا يسلم فيه الا من تمسك بنصوص الكتاب والسنة وما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم

باحسان وائمة العلم والهدى من بعدهم ، ولولا أني أخشى أن يغتر بعض الناس بعنوان رسالة ابن محمود فيظن أنها على طريقة أهل السنة والأثر مع أنها على طريقة غلاة القدرية الذين ينكرون كتابة المقادير قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وينكرون كتابة الملك الموكل بالجنين لما يقضي الله فيه من ذكورة أو أنوثة وسعادة أو شقاوة ورزق وأجل ، وأن يغتروا أيضا بما قرره في رسالته من نفي كتابة المقادير وزعمه أنها عبارة عن العلم القائم بذات الله وسبق علمه بالاشياء قبل وقوعها ، وما قرره أيضا في معنى القضاء والقدر مما أخذه من كلام عدو الله القصيمي في اغلاله، فلولا خشية الاغترار بما ذكرته من كلام ابن محمود لما كتبت في الرد عليه شيئا ٠

والمقصود من هذا الرد نصيحة المردود عليه ثم نصيحة غيره لئلا يغتروا بكلامه ٠

والله المسؤل أن يريني واياه واخواننا المسلمين الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ولا يجعله ملتبسا علينا فنضل ٠

(فصل)

وأما الرسالة الثانية لابن محمود وهي التي سماها « اتحاف الاحفياء برسالة الانبياء » فالتعقيب عليها يتلخص في ثلاثة عشر شيئا :

الأول : في زعمه أن كل نبي فانه رسول وانه لا فرق بين الرسول والنبي الا بمجرد الاسم والمسمى واحد ٠ الثاني : قوله أن ابن كثير هو أسبق من تكلم بالتفريق بين الرسول والنبي ٠ الثالث : قوله ان شيخ الاسلام ابن تيمية لم يذكر في كتاب النبوات فرقا بين الانبياء والرسل ٠ الرابع : زعمه

أن التفريق بين الرسول والنبي ليس معروفا عند الصحابة والتابعين ولا السلف السابقين · الخامس: قدحه في الصحابي الجليل أبي ذر رضي الله عنه ورميه بسوء الحفظ · السادس: قوله ان حصر الانبياء في مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا مخالف لصريح القرآن · السابع : قوله عن الاحاديث التي وردت في عدد الانبياء أن بعضها من قول كعب الاحبار · الثامن : ما نسبه الى المحققين من السلف أنهم قالوا ان لله أنبياء كثيرين لا يعلم عددهم الا الله ، وقوله أيضا انهم خطئوا من عد الانبياء والرسل · التاسع : تغليطه من فرق بين الانبياء والرسل · العاشر : قوله ان ابن الجوزي وغيره من العلماء ذكروا حديث أبي ذر في الموضوعات · الحادي عشر : نفيه الرسالة عن آدم · الثاني عشر : زعمه أن من فرق بين الرسول والنبي فقد فرق بين الانبياء في الايمان · الثالث عشر : زعمه ان كل مسلم مؤمن وانه لا فرق بين المسلم والمؤمن ·

فأما الأول : وهو قوله في صفحة (٤) أن كل نبي فانه رسول وانه لا فرق بين الرسول والنبي الا بمجرد الاسم والمسمى واحد ·

فجوابه من وجهين أحدهما ان يقال قد دل القرآن والسنة على التفريق بين الرسول والنبي ، وكفى بالقرآن والسنة حجة على كل مبطل ·

فأما الدليل من القرآن فقد قال الله تعالى في سورة الحج (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) الآية فقد فرق تبارك وتعالى بين الرسول وبين النبي وعطف النبي على الرسول والعطف يقتضي المغايرة ·

قال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الايمان ، وعطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما انتهى ، وسيأتي قول الرازي ان عطف النبي على الرسول يوجب المغايرة وهو من باب عطف العام على الخاص انتهى ·

وادخال حرف « لا » بين واو العطف والمعطوف صريح في التفريق بين الرسول والنبي كقوله تعالى (مالك من الله من ولي ولا نصير) وقوله (ما لهم من دونه ولي ولا شفيع) وقوله تعالى (ما لك من الله من ولي ولا واق) وقوله تعالى (فما له من قوة ولا ناصر) وأمثال هذه الآيات ·

وقد جاء في « تنوير المقباس · من تفسير ابن عباس » ما نصه (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد (من رسول) مرسل (ولا نبي) محدث ليس بمرسل (الا اذا تمنى) قرأ الرسول أو حدث النبي (ألقى الشيطان في امنيته) في قراءة الرسول وحديث النبي انتهى ·

وقال ابن جرير في تفسير هذه الآية (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) الآية ، فتأويل الكلام ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول الى أمة من الأمم ولا نبي محدث ليس بمرسل الا اذا تمنى ، انتهى

وقال القاضي عياض : المعنى وما أرسلنا من رسول الى أمة أو نبي وليس بمرسل الى أحد انتهى ·

وقال الثعلبي في تفسير قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الرسول الذي أرسل الى الخلق بارسال جبريل اليه عيانا ومحاورته اياه شفاها ، والنبي الذي تكون

نبوته الهاما أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا انتهى .

وقال الواحدي في قول الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رســـول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته) الرسول الذي أرسل الى الخلق بارسال جبريل اليـــه عيانا ومحاورته شفاها ، والنبي الذي تكون نبوته الهاما أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، قال وهذا معنى قول الفــراء : الرسول النبي المرسل ، والنبي المحدث الـــذي لم يرسل ، انتهى منقولا من « تهذيب الاسماء واللغــات » لابي زكريا النووي .

وقال البغوي في تفسير هذه الآية (وما أرسلنا من قبلك من رسول) وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا (ولا نبي) وهو الذي تكون نبوته الهاما أو مناما،وكلرسول نبي وليس كل نبي رسولا انتهى .

وقال الزمخشري في قوله تعالى (من رســـول ولا نبي) دليل بين على تغاير الرسول والنبي انتهى .

وقال الرازي في تفسير هذه الآية (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية ، المسألة الأولى من الناس من قال الرسول هو الذي حدث وأرسل ، والنبي هو الذي لم يرسل ولكنه ألهم أو رأى في النـــوم ، ومن الناس من قـــال ان كل رسول نبي وليس كل نبي يكون رسولا وهـــو قول الكلبي والفراء ، وقالت المعتزلة كل رسول نبي وكل نبي رسول ولا فرق بينهما ـ ثم ذكر الرازي ان هذه الآية دالـــة على أن كل رســـول نبي وليس كل نبي رسولا ، قال لانه عطف عـــلى الرسول وذلك يوجب المغايرة وهو من باب عطف العام عـلى

الخاص ، وقال في موضع آخر(وكم أرسلنا من نبي في الأولين) وذلك يدل على أنه كان نبيا فجعله الله مرسلا وهو يدل على قولنا انتهى .

وقال القرطبي في تفسيره عند قول الله تعالى(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية وقال الفراء الرسول الذي أرسل الى الخلق بارسال جبريل اليه عيانا ، والنبي الذي تكون نبوته الهاما أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، قال المهدوي وهذا هو الصحيح ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، وكذا ذكر القاضي عياض في كتاب الشفاء ، قال والصحيح والذي عليه الجم الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واحتج بحديث أبي ذر وان الرسل من الانبياء ثلثمائة وثلاثة عشر أولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم انتهى .

وقال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى سنة سبعمائة وعشر في تفسيره في الكلام على قول الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض انهما واحد انتهى .

وقال ابن جزي الكلبي الغرناطي في تفسيره في الكلام على قول الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية ، النبي أعم من الرسول فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا فقدم الرسول لمناسبته لقوله أرسلنا وأخر النبي لتحصيل العموم لانه لو اقتصر على رسول لم يدخل في ذلك من كان نبيا غير رسول انتهى .

وفي تفسير مجاهد عند قول الله تعالى في سـورة مريم (وكان رسولا نبيا) قال النبي هو الـذي يكلم وينزل عليه ولا يرسل ، والرسول هو الذي يرسل ٠

وقد قال سفيان الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهـد فحسبك به ، وروى محمد بن اسحاق عن ابان بن صالح عن مجاهد قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها ،وروى ابن جرير عن ابن أبي مليكة قال رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحه قـال فيقول لـه ابن عباس أكتب حتى سأله عن التفسير كله ٠

وعلى هذا فقول مجاهد في تفسير الآية من سـورة مريم يحتمل انه مما أخذه عن ابن عباس رضي الله عنهما واللـه أعلم ٠

وقال القرطبي في تفسير سورة الأعراف عند قوله تعـالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) الآية ، قال والرسول والنبي اسمان لمعنيين فان الرسول أخص من النبي وقـدم الرسول اهتماما لمعنى الرسالة والا فمعنى النبوة هو المتقدم ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم عـلى البراء حين قال « وبرسولك الذي أرسلت » فقال له « قل بنبيك الـذي أرسلت » خرجه في الصحيح ، وأيضا فان في قوله وبرسولك الذي أرسلت تكرير الرسالة وهومعنىواحد فيكون كالحشو الذي لا فائدة فيه بخـلاف ونبيك الذي أرسلت فانهمـا لا تكرار فيهما وعلى هذا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا لان الرسول والنبي اشتركا في أمر عام وهو النبأ وافترقا في أمر وهي الرسالة فاذا قلت محمد رسول من عند الله تضمن ذلك أنه نبي ورسول وكذلك غيره من الانبياء صلوات اللـه عليهم انتهى ٠

وقال ابن كثير في تفسير سورة الأحزاب عند قول الله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والاحرى لان مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس انتهى .

وقال ابن كثير أيضا في تفسير سورة المدثر بعد ما قرر أن أول ما نزل من القرآن أول سورة « اقرأ » قال وقوله تعالى (قم فانذر) أي شمر عن ساق العزم وانذر الناس وبهذا حصل الارسال كما حصل بالاول النبوة انتهى .

وأما الدليل من السنة ففي عدة أحاديث أحدها ما رواه الامام أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم اسلمت وجهي اليك وفوضت أمري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت فان مت مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول » فقلت استذكرهن وبرسولك الذي أرسلت قال « لا ، ونبيك الذي أرسلت » ، وفي رواية الترمذي قال البراء فقلت وبرسولك الذي أرسلت قال فطعن بيده في صدري ثم قال « وبنبيك الذي أرسلت » .

وهذا الحديث صريح في التفريق بين الرسول والنبي وقد استدل به غير واحد من أكابر العلماء على التفريق بينهما ، وقد تقدم كلام القرطبي في ذلك قريبا .

وقال الخطابي والفرق بين النبي والرسول أن الرسول هو المأمور بتبليغ ما أنبىء وأخبر به ، والنبي هو المخبر ولم يؤمر بالتبليغ فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، قال ومعنى رده على البراء من رسولك الى نبيك أن الرسول من باب المضاف فهو ينبىء عن المرسل والمرسل اليه فلو قال ورسولك ثم قال الذي أرسلت لصار البيان مكررا معادا ، فقال ونبيك الذي أرسلت اذ قد كان نبيا قبل أن يكون رسولا ليجمع له الثناء بالاسمين معا ويكون تعديدا للنعمة في الحالين وتعظيما للمنة على الوجهين انتهى وقد نقله عنه ابن الاثير في جامع الاصول وأقره .

وقال النووي في شرح مسلم في الكلام على قول مسلم في أول صحيحه « وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى جميع الانبياء والمرسلين » وقد ينكر على مسلم في هذا الكلام قوله وعلى جميع الانبياء والمرسلين ، فيقال اذا ذكر الانبياء لا يبقى لذكر المرسلين وجه لدخولهم في الانبياء فان الرسول نبي وزيادة ، ولكن هذا الانكار ضعيف ، ويجاب عنه بجوابين أحدهما أن هذا سائغ وهو أن يذكر العام ثم الخاص تنويها بشأنه وتعظيما لأمره وتفخيما لحاله .

الجواب الثاني : أن قوله والمرسلين أعم من جهة أخرى وهو أنه يتناول جميع رسل الله سبحانه وتعالى من الآدميين والملائكة قال الله تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) ولا يسمى الملك نبيا فحصل بقوله والمرسلين فائدة لم تكن حاصلة بقوله النبيين والله أعلم انتهى كلام النووي ، وقد أشار اليه في الكلام على حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما في كتاب الذكر والدعاء فقال وقد قدمنا في أول شرح خطبة هذا الكتاب انه لا يلزم من الرسالة النبوة ولا عكسه انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، قولـه وبرسولك الذي أرسلت قال « لا وبنبيك الـذي أرسلت » قال القرطبي تبعا لغيره هذا حجة لمن لم يجز نقل الحديث بالمعنى وهو الصحيح من مذهب مالك ، فان لفظ النبوة والرسالة مختلفان في أصل الوضع فان النبوة من النبأ وهـو الخبر ، فالنبي في العرف هو المنبأ من جهة الله بأمر يقتضي تكليفا ، وان أمر بتبليغه الى غيره فهو رسول والا فهو نبي غير رسول ، وعلى هذا فكل رسول نبي بلا عكس ، فان النبي والرسول اشتركا في أمر عام وهو النبأ وافترقا في الرسالة فاذا قلت فلان رسـول تضمن أنه نبي رسول ، واذا قلت فلان نبي لم يستلزم أنـه رسول فأراد صلى الله عليه وسلم أن يجمع بينهمـا في اللفظ لاجتماعهما فيه حتى يفهم من كل واحد منهما من حيث النطق ما وضع له وليخرج عما يكون شبه التكرار في اللفظ من غير فائدة انتهى .

قال الحافظ وأما الاستدلال به عـلى منع الرواية بالمعنى ففيه نظر لان شرط الرواية بالمعنى أن يتفق اللفظان في المعنى المذكور ، وقد تقرر أن النبي والرسول متغايران لفظا ومعنى فلا يتم الاحتجاج بذلك انتهى .

وقد ذكر بعض العلماء في صفة الرسول أن يكون له كتاب وقال بعضهم لا يشترط ذلك فكل نبي أوحي اليه بأمر يقتضي تكليفا وأمر بتبليغه الى غيره فهو رسـول ولو لم ينزل عليه كتاب وهذا هو الصحيح والله أعلم .

الحديث الثاني : قال ابن حبان في صحيحه أخبرنا الحسن ابن سفيان الشيباني والحسين بن عبد الله القطان بالرقـة وابن سلم واللفظ للحسن قالوا حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحي بن يحي الغساني حدثنـا أبي عن جدي عن أبي ادريس

الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنه قال دخلت المسجد فـاذا رسول اللهصلى الله عليه وسلم جالس وحده ـ فذكر الحديث بطوله وفيه ـ قلت يا رسول الله كم الانبياء قال « مائة ألف وعشرون ألفا » قلت يا رسول الله كم الرسل منذلك قـال « ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا » قلت يا رسول الله من كان أولهم قال « آدم عليه السلام » قلت يا رسول الله أنبي مرسل قال « نعم » خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا » قال الهيثمي بعد ما ساقه في موارد الظمآن ، فيه ابراهيم بن هشام بن يحي الغساني قال أبو حاتم وغيره كذاب انتهى .ـ

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة ابراهيم بن هشام وهو صاحب حديث أبي ذر الطويل انفرد به عن أبيه عن جده قال الطبراني لم يرو هذا عن يحي الا ولده وهم ثقـات ، وذكره ابن حبان في الثقات وأخرج حديثه في الأنواع ، ثم ذكرعنأبي حاتم أنه قال هو كذاب وذكر ابن الجوزي أنه قال أبو زرعة كذاب ، وقد علق الحافظ ابن حجر على موارد الظمآن فقـال انفرد أبو حاتم الرازي بتضعيف ابراهيم بن هشام وقـواه غيره وللحديث شواهد، منها ما رواه ابن جرير في أول تاريخه عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمه عبد الله بن وهب عن الماضي بن محمد بن أبي سليمان عن القاسم بن محمد عن أبي ادريس الخولاني ، قاله بطوله .

وقال الحافظ ابن حجر أيضا في تعليقه على موارد الظمآن وفي الحديث أشياء مفرقة من روايات متنوعـــة الى أبي ذر ، منها من طريق عبيد بن خشخاش عنه ، وفيهـــا من طريق أخرى قد ذكرتها في الهامش أولا انتهى .

قلت الذي ذكره في الهامش أولا هذا نصه « قال ابن أبي عمر حدثنا هشام بن سليمان حدثنا أبو رافـع عن يزيد بن

رومان عمن أخبره عن أبي ذر رضي الله عنه قال دخلت المسجد فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحده ، قلت أنظر اليه وهو لا يراني وأقول ماخلا هكذا وحده الا وهو على حاجة أو على وحي فجعلت أؤامر نفسي أن آتيه فأبت نفسي الا أن آتيه فجئت فسلمت ثم جلست فجلست طويلا لا يلتفت الي ولا يكلمني قال قلت قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالستي ثم التفت الي فقال « يا أبا ذر فقلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال أركعت اليوم قلت لا قال قم فأركع » الحديث بطوله وسياق الاصل أتم انتهى ما علقه الحافظ ابن حجر على موارد الظمآن .

وحاصل ما تقدم أن ابراهيم بن هشام قد اختلف فيه فوثقه ابن حبان والطبراني وتكلم فيه أبو زرعة وأبو حاتم الرازي ، ولحديثه شواهد تقويه .

منها ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده قال حدثنا المسعودي عن أبي عمرو الشامي عن عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فجلست اليه ـ فذكر الحديث مختصرا وفيه ـ قلت فأي الانبياء كان أول يا رسول الله قال « آدم » قلت أو نبي كان قال « نعم نبي مكلم » قلت كم كان المرسلون يا رسول الله قال « ثلثمائة وخمس عشرة جما غفيرا » وقد رواه الامام أحمد عن يزيد بن هارون عن المسعودي فذكره بمثله مختصرا ، ورواه البزار والطبراني في الاوسط مختصرا، قال الهيثمي وفيه المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط ، وقد روى النسائي في كتاب الاستعاذة من سننه طرفا منه من طريق المسعودي ، وروى الحاكم في مستدركه في فضل آية الكرسي طرفا منه من طريق المسعودي وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه .

ومن شواهده أيضا ما رواه محمد بن أبي عمر في مسنده وقد تقدم ذكر اسناده في كلام الحافظ ابن حجر ، وقد ذكره الحافظ أيضا في « المطالب العالية » مطولا وقال فيه قلت يا رسول الله كم كان الانبياء قال « كانوا مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا » قلت يا رسول الله وكلهم كانوا رسلا قال « لا ، كان الرسل منهم خمسة عشر وثلثمائة رجل » قلت يا رسول الله فأيهم كان أول قال « كان أولهم آدم » قلت أنبي كان آدم قال « نعم جبل الله تربته وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا » .

ومن شواهده أيضا ما رواه ابن جرير في أول تاريخه وقد تقدم ذكر اسناده في كلام الحافظ ابن حجر وقال فيه قلت يارسول الله كم الانبياء قال «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا» قال قلت يا رسول الله كم المرسل من ذلك قال « ثلثمائةوثلاثة عشر جما غفيرا » يعني كثيرا طيبا ، قال قلت يا رسول الله من كان أولهم قال « آدم » قال قلت يا رسول الله وآدم نبي مرسل قال « نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا » .

ومن شواهده أيضا ما رواه الحسن بن عرفة في مسنده حدثني يحي بن سعيد السعيدي البصري حدثنا عبد الملك بن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد ـ فذكر الحديث وفيه ـ قال فقلت يا رسول الله كم النبيون قال « مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي » قلت كم المرسلون منهم قال « ثلثمائة وثلاثة عشر » وقد رواه الحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه من طريق الحسن بن عرفة ، قال الذهبي السعيدي ليس بثقة .

قلت وهذا الحديث قد تعددت طرقه وصححه ابن حبان وصحح الحاكم ما رواه منه من طريق المسعودي ووافقه الذهبي

على تصحيحه وقال الشوكاني في كتابه « ارشـــاد الثقات » أخرجه ابن حبان والبيهقي بسندين حسنين انتهى ، وقـــد اعتضد بما يأتي من حديث أبي أمامة وعوف بن مـالك رضي الله عنهما ، وعلى هذا فأقل الاحـوال فيه أن يكون صالحـــا للاستشهاد به والله أعلم ·

الحديث الثالث عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد جالسا وكانوا يظنون أنه ينزل عليه فاقصروا عنه حتى جاء أبو ذر فاقحم فأتى فجلس اليه فأقبل عليه النبي صلى اللـــه عليه وسلم ـ فذكر الحديث وفيه أن أبا ذر رضي الله عنه سأل النبي صلى اللـه عليه وسلم عن أشياء كثيرة ، منها قال قلت يا نبي اللـه فأي الانبياء كان أول قال « آدم عليه السلام » قال قلت يا نبي الله أونبي كان آدم قال « نعم نبي مكلم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم قال له يا آدم قبلا » قال قلت يا نبي الله كم عدد الانبياء قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا » رواه الامام أحمد والطبراني في الكبير قال الهيثمي ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف ·

وقد روى الطبراني في الاوسط طرفا منه باسناد صحيح ولفظه أن رجلا قال يا رسول الله أنبي كان آدم قـال « نعم » قال كم بينه وبين نوح قال « عشرة قرون » قـال كم بين نوح وابراهيم قال « عشرة قرون » قال يا رسول اللـــه كم كانت الرسل قال « ثلثمائة وخمسة عشر » قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح ، وقد رواه الحاكم في مستدركه ولفظه أن رجلا قال يا رسول الله أنبي كان آدم قال « نعم معلم مكلم » قال كم بينه وبين نوح قال « عشرة قرون » قالوا يا رسول الله كم كانت الرسل قال « ثلثمائة وخمس عشرة جما غميرا » قال الحـاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه

ورواه ابن حبان في صحيحه مختصرا ، ولفظه أن رجلا قال يا رسول الله أنبيا كان آدم قال « نعم » قال فكم كان بينه وبين نوح قال « عشرة قرون » قال ابن كثير في البداية والنهاية وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه ، ورواه ابن جرير في أول تاريخه ولفظه قلت يا نبي الله أنبيا كان آدم قال « نعم كان نبيا كلمه الله قبلا » .

وفي هذا الحديث الصحيح شاهد لما تقدم قبله من حديث أبي ذر وأبي امامة رضي الله عنهما .

الحديث الرابع : عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن أبا ذر رضي الله عنه جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فذكر الحديث وفيه ـ قلت يا رسول الله فأي الانبياء كان أول فقال « آدم » فقلت أو نبيا كان قال « نعم نبي مكلم » قلت يا رسول الله وكم الانبياء فقال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا » فقال كم المرسلون منهم قال « ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا » ذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » ونسبه لاسحاق بن راهويه .

وهذا الحديث والحديثان قبله يشد بعضها بعضا وتشهد لها الرواية الصحيحة عن أبي امامة رضي الله عنه .

الحديث الخامس : عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين الا النبيين والمرسلين يا علي لا تخبرهما » رواه الترمذي وابن ماجه وعبد الله بن الامام أحمد في زوائد المسند واسناده حسن وهذا لفظ الترمذي ، ولفظ عبد الله قال كنت عند النبي صلى الله عليه

وسلم فأقبل أبو بكر وعمر فقال « يا علي هـذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين » قال الترمذي وفي الباب عن أنس وابن عباس رضي الله عنهم ٠

الحديث السادس : عن أنس رضي اللـــه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين الا النبين والمرسلين لا تخبرهما يا علي » رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب

الحديث السابع : عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين الا النبيين والمرسلين » رواه ابن ماجه باسناد حسن وابن حبان في صحيحه ٠

الحديث الثامن : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، رواه البزار والطبراني٠

الحديث التاسع والعاشر : عن ابن عمر وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك أيضا رواهما الطبراني ٠

وهذه الاحاديث الستة يشد بعضها بعضا وفيها أوضح دليل على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي ، وفيها مع ماتقدم قبلها من الاحاديث أبلغ رد على من زعم أنه لا فرق بين الرسول والنبي الا بمجرد الاسم والمسمى واحد ٠

الوجه الثاني : أن يقال مما يدل على الفرق بين الرســول والنبي وأن مسمى الرســول ومسمى النبي مختلف في المعنى ان اسم الرسول يدخل فيه الرسل من الملائكة والرسل من بني آدم كما قال الله تعالى (الله يصطفي من الملائكة رســلا ومن

الناس) والرسل من الملائكة لا يسمون أنبياء وانما يسمى بذلك الانبياء من بني آدم والرسل منهم ، ولو كان الأمر على ما زعمه ابن محمود في قوله انه لا فرق بين الرسول والنبي الا بمجرد الاسم والمسمى واحد لكان جبريل وغيره من الملائكة يسمون أنبياء ، وهذا ظاهر البطلان ، وبهذا يتبين الفرق بين الرسول والنبي ، وقد تقدم قول الحافظ ابن حجر أنهما متغايران لفظا ومعنى ٠

وأما الثاني وهو قوله في صفحة (٣) أن ابن كثير هو أسبق من تكلم بالتفريق بين الرسول والنبي ٠

فجوابه أن يقال ان أول من تكلم بالتفريق بين الرسول والنبي هو الله تبارك وتعالى في قوله جل ذكره (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية ٠

وأول من تكلم بذلك من هذه الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث التي تقدم ذكرها ، ومن أصرحها رواية محمد بن أبي عمر التي ذكرها الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » وفيها أن أبا ذر رضي الله عنه قال قلت يارسول الله كم كان الانبياء قال « كانوا مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا » قلت يا رسول الله وكلهم كانوا رسلا قال « لا ، كان الرسل منهم خمسة عشر وثلثمائة رجل » ٠

وتقدم أيضا ما ذكرنا من تفسير ابن عباس ومجاهد انهما فرقا بين الرسول والنبي ، وقال ابن قتيبة في كتاب «المعارف» ذكر وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « كانت الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي ، الرسل منهم ثلثمائة نبي وخمسة عشر نبيا » ٠

وتقدم أيضا ما ذكره الرازي عن الكلبي والفراء أنهما فرقا بين الرسول والنبي ، وذكره الواحدي أيضا عن الفراء .

وتقدم أيضا عن ابن جرير والثعلبي والواحدي والبغوي والزمخشري والرازي والقرطبي والنسفي وابن جزي الكلبي أنهم فرقوا بين الرسول والنبي ، وهؤلاء المفسرون كلهم كانوا قبل ابن كثير سوى ابن جزي فقد كان معاصرا لابن كثير ومات قبله .

وتقدم أيضا ما ذكره القرطبي عن المهدوي والقاضي عياض أنهما فرقا بين الرسول والنبي ، وتقدم عن الخطابي والنووي مثل ذلك .

وممن فرق بين الرسول والنبي من المتقدمين مسلم بن الحجاج وعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وأبو عبدالله الحاكم وأبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي وأبو محمد ابن حزم وأبو اليسر محمد بن عبدالكريم البزدوي والقاضي عياض والخطيب البغدادي .

فأما مسلم فقال في مقدمة صحيحه ما نصه « وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى جميع الانبياء والمرسلين » .

وأما عبد الله بن مسلم بن قتيبة فقال في كتاب «المعارف» ما نصه « عدد الانبياء والرسل منهم صلى الله عليهم » ثم ذكر ما تقدم قريبا عن ابن عباس في عدد الانبياء والرسل .

وأما الحاكم فقال في مستدركه ما نصه « كتاب تواريخ المتقدمين من الانبياء والمرسلين » .

وأما أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي فقال في كتابه « أصول الدين » كل رسول لله عــز وجل نبي وليس كل نبي رسولا له ٠

وأما ابن حزم فقال في أول المحلى ما نصه « مسألة ، وبعد هذا فان أفضل الانس والجن الرسل ثم الانبياء ثم أصحــاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا لا خلاف فيه » ٠

وقال أيضا « مسألة ، والنبوة هي الوحي من الله تعــالى بان يعلم الموحى اليه بأمر مايعلمه لم يكن يعلمه قبل،والرسالة هي النبوة وزيادة وهي بعثته الى خلق ما بأمرما ، هذا مــالا خلاف فيه انتهى ٠

وأما أبو اليسر محمد بن عبدالكريم البزدوي فقال في كتابه « أصول الدين » الرسول لا يكون الا نبيا والنبي قد لا يكون رسولا ـ الى أن قال ـ ويبقى الرسول بعد موته رسولا وكذلك النبي بعد موته نبيا لان الرسول بالرسالة صار شريفا مكرما عند الله تعالى وكذا النبي الا أنه دونه ، وكذا المــؤمن الا أنه دونهما ، وذلك الشرف يبقى لهم بعد الموت انتهى ٠

وأما القاضي عياض فقال في كتاب « الشفا » ما نصــه « والصحيح والذي عليه الجم الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا » انتهى ٠

وأما الخطيب البغدادي فقال في كتابه « الكفــاية في علم الرواية » وانما فضل المرسلون من الانبياء لانهم جمعوا النبوة والرسالة معا انتهى ٠

وممن فرق بين الرسول والنبي أيضا شيخ الاســلام أبو العباس ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمهما الله تعالى ، فأما

شيخ الاسلام فقال في كتاب الايمان بعد أن ذكر أن الاحسان يدخل فيه الايمان وان الايمان يدخل فيه الاسلام ، قال وهـذا كما يقال في الرسـالة والنبوة فالنبوة داخلة في الرسـالة والرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، فالانبياء أعم،والنبوة نفسها جزء من الرسالة فالرسـالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف النبوة فانها لا تتناول الرسالة انتهى ٠

وقال الشيخ أيضا في جواب له بعد ذكره عصمـة الانبياء ما نصه : وهذه العصمة الثابتة للانبياء هي التي يحصل بهـا مقصود النبوة والرسالة فان النبي هـو المنبأ عن اللـه ، والرسول هو الذي أرسله الله تعالى ، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فـلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين ٠

وقال الشيخ أيضا في جواب آخر ما نصـه ، فان الآيات الدالة على نبوة الانبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل فلا يكون خبرهم الا حقا وهذا معنى النبوة وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب وانه ينبىء الناس بالغيب٠ والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه ، ولهذا كان كل رسول نبيا وليس كل نبي رسولا وان كان قد يوصف بالارسال المقيد في مثل قوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ اللـه ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) ٠

وقال الشيخ أيضا وذكر حديث بدء الوحي وفيه ذكـر نزول سورة « اقرأ » ثم قال وهذه السورة أول ما أنزل اللـه عليه وبها صار نبيا ثم انزل عليه سورة المدثر وبها صـار رسولا لقوله (قم فانذر) ٠

وقال الشيخ أيضا في تفسير سورة « اقرأ » ان ما في حديث عائشة رضي الله عنها الذي في الصحيحين يبين أن أول ما نزل (اقرأ باسم ربك) نزلت عليه وهو في غار حراء وان «المدثر» نزلت بعد ، وهذا هو الذي ينبغي فان قوله(اقرأ)أمر بالقراءة لا بتبليغ الرسالة وبذلك صار نبيا ، وقوله (قم فانذر) أمر بالانذار وبذلك صار رسولا منذرا ٠

وقال الشيخ أيضا فسورة (اقرأ) هي أول ما نزل من القرآن ولهذا لما أمر بأن يقرأ انزل عليه بعدها المدثر لأجل التبليغ فقيل له (قم فانذر) فبالأولى صار نبيا وبالثانية صار رسولا انتهى ٠

وكلامه رحمه الله تعالى في التفريق بين الرسول والنبي كثير جدا وفيما ذكرته ههنا كفاية ان شاء الله تعالى ٠

وأما ابن القيم رحمه الله تعالى فقال في كتابه « زاد المعاد » وكذلك اختياره سبحانه الانبياء من ولد آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا واختياره سبحانه الرسل منهم وهم ثلثمائة وثلاثة عشر على مافي حديث أبي ذر الذيرواه أحمد وابن حبانفيصحيحه ، واختياره أولي العزم منهم وهم الخمسة المذكورون في سورة الأحزاب والشورى في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وقال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسىأن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) واختار منهم الخليلين ابراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم انتهى ٠

وقال ابن القيم أيضا في كتابه « طريق الهجرتين » ما ملخصه : مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها وهم

ثمان عشرة مرتبة ، الطبقة الاولى وهي العليا على الاطلاق مرتبة الرسالة وأعلاهم منزلة أولو العزم منهم وهم المذكورون في قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق .

الطبقة الثانية من عداهم من الرسل على مراتبهم من تفضيل بعضهم على بعض ، الطبقة الثالثة الذين لم يرسلوا الى أممهم وانما كانت لهم النبوة دون الرسالة فاختصوا عن الأمة بايحاء الله اليهم وارساله ملائكته اليهم ، واختصت الرسل عنهم بارسالهم الى الأمة يدعونهم الى الله بشريعته وأمره واشتركوا في الوحي ونزول الملائكة عليهم انتهى المقصود من كلامه رحمه الله تعالى .

وممن فرق بين الرسول والنبي من أهل اللغة ابن الاثير وابن منظور في لسان العرب ومرتضى الحسيني في تاج العروس ، فأما ابن الاثير فقال في النهاية ما نصه : ومن الأول حديث البراء قلت ورسولك الذي ارسلت فرد علي وقال ونبيك الذي ارسلت ، انما رد عليه ليختلف اللفظان ويجمع له الثنائين معنى النبوة والرسالة ويكون تعديدا للنعمة في الحالين وتعظيما للمنة على الوجهين ، والرسول أخص من النبي لان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا انتهى .

وأما ابن منظور وصاحب تاج العروس فذكرا كلام ابن الاثير وأقراه .

وأما قول ابن محمود في آخر صفحة (٤) وأول صفحة (٥) ما نصه : والله يقول (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) فوصف الانبياء بالتبشير والانذار الذي هو وظيفة الرسل بلا خلاف كما قال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فوصف الرسل بالتبشير والانذار كما وصف بذلك الانبياء على حد سواء ٠

فجوابه : أن يقال ان المراد بالانبياء المذكورين في الآية من سورة البقرة الرسل بدليل قوله تعالى (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) والكتب انما انزلت على الرسل لا على عموم الانبياء كما قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) فهذه الآية من سورة الحديد تبين ما أجمل في الآية من سورة البقرة والله أعلم ٠

وأما الثالث وهو قوله في صفحة (٥) أن شيخ الاسلام ابن تيمية لم يذكر في كتاب « النبوات » فرقا بين الانبياء والرسل ٠

فجوابه : ان يقال بل قد ذكر ذلك في صفحة ١٧٢ وما بعدها من كتاب « النبوات » وهذا نص كلامه ٠

والمقصود هنا الكلام على النبوة فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبيء بما انبأ الله به فان أرسل مع ذلك الى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله اليه فهو رسول ، وأما اذا كان انما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو الى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول قال تعالى(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في

أمنيته) وقوله (من رسول ولا نبي) فذكر ارسالا يعم النوعين وقد خص أحدهما بانه رسول فان هذا هو الرســـول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته الى من خالف الله كنوح ، وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث الى أهل الارض وقد كان قبله أنبياء كشيث وادريس وقبلهما آدم كان نبيا مكلما ، قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاســـلام ، فأولئك الانبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم كما يكون أهل الشريعة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرســـول ، وكذلك أنبياء بني اسرائيل يأمرون بشريعة التوراة وقد يوحى الى أحدهم وحي خاص في قضية معينة ولكن كانوا في شرع التوراة كالعـالم الذي يفهمه الله في قضية معنى يطابق القرآن كما فهم اللـه سليمان حكم القضية التي حكم فيهـــا هو وداود ، فالانبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي فان ارسلوا الى كفار يدعونهم الى توحيد الله وعبادته وحـده لا شريك لــه ولا بد أن يكذب الرسل قوم قال تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) وقال (مايقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك) فان الرســـل ترسل الى مخالفين فيكذبهم بعضهم ، وقال (وما أرسلنـــا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهــل القـــرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولــدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون ، حتى اذا استيأس الرســـل وظنوا أنهم قد كذبوا جـاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) وقال (انا لننصر رسلنا والــذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) فقوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) دليل على أن النبي مرسل ولا يسمى رسولا عند الاطلاق لانه لم يرسل الى قــوم بما لا يعرفونه بل

كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق كالعالم ولهـــذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الانبياء » وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعـة جـــديدة فان يوسف كان رسولا وكان على ملة ابراهيم ، وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة ·

قال تعالى عن مؤمن آل فرعون (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جـــاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) وقال تعالى (انا أوحينا اليك كمـــا أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينـــا الى ابراهيم واسماعيل واسحـــاق ويعقـوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهـــارون وسليمان وآتينـــا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) ·

والارسال اسم عام يتناول ارسال الملائكة وارسال الرياح وارسال الشياطين وارسال النار قال تعـــالى (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس) وقال تعالى (جاعل الملائكة رســـلا اولي أجنحة) فهنا جعل الملائكة كلهم رسلا ، والملك في اللغـــة هو حامل الألوكة وهي الرسالة ، وقـــد قال في موضع آخر (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) فهؤلاء الذين يرسلهم بالوحي كما قال (وما كان لبشر أن يكلمه اللـــه الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه مايشاء) وقال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وقال تعالى (ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) لكن الرسول المضاف الى الله اذا قيل رسول الله فهم من يأتي برسالة من الله من الملائكة والبشر كمـــا قال (اللـــه يصطفى من الملائكة رســـلا ومن الناس) وقالت المـــلائكة (يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) ·

وأما عموم الملائكة والرياح والجن فان ارسالهـــا لتفعل فعلا لا لتبلغ رسالة قال تعالى (أذكروا نعمة اللـــه عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحـــا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) فرسل الله الذين يبلغون عن الله أمره ونهيه هي رسل الله عند الاطلاق ، وأما من أرسله الله ليفعل فعلا بمشيئته وقدرته فهذا عام يتناول كل الخلق كما انهم كلهم يفعلون بمشيئته واذنه المتضمن لمشيئته ، لـكن أهل الايمان يفعلون بأمره ما يحبه ويرضاه ويعبدونه وحده ويطيعون رسله ، والشياطين يفعلون باهوائهم وهم عاصون لامره متبعون لما يسخطه وان كانوا يفعلون بمشيئته وقدرته انتهى المقصود من كلامه رحمه الله .

وأما الرابع : وهو زعمـــه في صفحة (٥) ان التفريق بين الرسول والنبي ليس معروفا عند الصحـــابة والتابعين ولا السلف السابقين .

فجوابه : ان يقال قد تقدم ذكر التفريق بين الرســـول والنبي في تفسير ابن عباس ومجاهد والكلبي والفــراء وابن جرير وغيرهم من أكابر العلماء المتقدمين فليراجع ذلك ففيـــه كفاية في الرد على ابن محمود ، وتقدم أيضا قول ابن حـــزم في التفريق بين الرسول والنبي انه لا خلاف فيه ، وفي هذا أيضا رد على ابن محمود .

وأما الخامس : وهو قدحـــه في الصحابي الجليل أبي ذر رضي الله عنه ورميه بسوء الحفظ وذلك في صفحة (٥) حيث قال مشيرا الى حديث أبي ذر رضي الله عنه « وهو حـــديث طويل جدا لا يتحمل أبو ذر حفظه مع طوله » .

فجوابه : أن يقال يا لها من كلمة ما أسوأها وأبشعها . .

ولا أعلم أحدا رمى أبا ذر رضي اللـــه عنه بسوء الحفظ قبل ابن محمود ، وقـــد قال النبي صلى اللـــه عليه وسلم « ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء أصدق من أبي ذر » رواه الامام أحمد والترمذي وابن ماجـه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقـال الترمذي هذا حديث حسن ، قال وفي الباب عن أبي الـدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما ٠

وروى الترمذي أيضا وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة أصـدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم عليه السلام » فقال عمر بن الخطاب يا رسول اللـه أفنعرف ذلك له قال « نعم فاعرفوه له » قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه ٠

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه قال « ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر » رواه الامام أحمد والبزار والطبراني والحاكم في مستدركه ، قال الهيثمي وفيه علي بن زيد وقد وثق وفيـه ضعف وبقية رجاله ثقات ، ورواه الحاكم أيضـا ولم يتكلم عليه وقال الذهبي سنده جيد ٠

قال الحافظ ابن حجر في الاصابة قال أبو اسحاق السبيعي عن هانيء بن هانيء عن علي رضي الله عنه أنه قال « أبو ذر وعاء ملىء علما ثم أوكي عليه » أخرجـه أبو داود بسند جيد ، قال الحافظ وكان يوازي ابن مسعود في العلم انتهى ٠

وقد ترجم له الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ وقال كان رأسا في العلم والزهد والجهاد وصدق اللهجة والاخلاص وكان يوازي ابن مسعود في العلم ، ومناقبه شهيرة ، منها قول المصطفى صلى الله عليه وسلم «ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر » انتهى .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب كان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق انتهى .

وفيما ذكرته من الاحاديث وأقوال الائمة الحفاظ أبلغ رد على من رمى أبا ذر بسوء الحفظ .

وقد روى الامام أحمد في مسنده نحو مائتين وسبعين حديثا لابي ذر رضي الله عنه ، وروى له أهل الصحاح والسنن والمسانيد أحاديث كثيرة مما رواه الامام أحمد ومما لم يروه ، ومن كان يحفظ هذا العدد الكثير من الاحاديث كيف يقال انه لا يتحمل حفظ الحديث الطويل الذي فيه عدد الانبياء والمرسلين ، انها لجراءة على صحابي جليل قد عده أهل المعرفة بمراتب العلماء في أعلا طبقات الحفاظ وقالوا انه كان يوازي ابن مسعود في العلم .

وأما السادس : وهو قوله في صفحة (٦) أن حصر الانبياء في مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا مخالف لصريح القرآن فان الله يقول (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) .

فجوابه : أن يقال ليس في حصر الانبياء في مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا ما يخالف القرآن بوجه من الوجوه ، فأما قوله تعالى في سورة النساء (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) وقوله في سورة المؤمن

(ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فليس المراد بالقصص ذكر عـددهم كما قد توهم ذلك ابن محمود وانمـا المراد بالقصص ذكر أخبارهم وما جرى لهم مع قومهم ، قال ابن كثيرفي تفسير سورة المؤمن ، أي منهم من أوحينا اليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة انتهى ·

والقصص رواية الاخبار نص على ذلك أهل اللغـة ، قال الجوهري في الصحاح القصة الأمر والحديث وقد اقتصصت الحديث رويته على وجهه وقـد قص عليه الخبر قصصـا ، والاسم أيضا القصص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه ، والقصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب انتهى ·

وقال ابن الاثير في النهاية القص البيان والقصص بالفتح الاسم وبالكسر جمع قصة والقاص الذي يأتي بالقصة عـلى وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها انتهى ·

وقال ابن منظور في لسان العرب والقصـة الخبر وهـو القصص وقص علي خبره يقصـه قصـا وقصصا أورده ، والقصص الخبر المقصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه ، والقصص بكسر القاف جمع القصـة التي تكتب ، وتقصص الخبر تتبعه ، والقصة الأمر والحـديث ، واقتصصت الحديث رويته على وجهـه ، وقص عليه الخبر قصصا ، وفي حديث الرؤيا لا تقصها الا عـلى واد ، يقـال قصصت الرؤيا على فلان اذا أخبرته بها أقصها قصا ،والقص البيان والقصص بالفتح الاسم ، والقاص الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها انتهى ·

وقال الراغب الاصفهاني القصص الاخبار المتتبعة ، قال (لهو القصص الحـــق) (في قصصهم عبرة) (وقص عليـــه القصص) (نقص عليك أحسن القصص) (فلنقص عليهم) (يقص على بني اسرائيل) (فاقصص القصص) انتهى •

وقد ذكر الله تعالى في سورة آل عمران قصة زكريا وقصة مريم وقصة عيسى مع قومـــه ثم قال تعالى (ان هذا لهـــو القصص الحق) وقال تعالى في أول سورة الاعراف (فلنقصن عليهم بعلم وماكنا غائبين) ثم ذكر في السورة قصـــة آدم ثم قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب مع قومهم وقصـــة موسى مع فرعون وقصته لما جاء لميقات ربه وقصته لمـــا اختار سبعين رجلا لميقات ربه وقصة أصحاب السبت وقصة الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ثم قال تعالى بعد ذلك (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) وقال تعالى في ســورة هود بعـــد ما ذكر قصة نوح وهود وصالح مع قومهم وقصة ابراهيم مع الملائكة وقصة لوط وشعيب مع قومهما وقصة موسى مـــع فرعون ثم قال تعالى (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك) وقال في آخر السورة (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) وقال تعالى في أول سورة يوسف (نحن نقص عليك أحسن القصص) ثم ذكر ما جرى ليوسف مع أبيه لمـــا قص عليه الرؤيا وقصته مع اخوته في أول الأمر وقصته مع العزيز وامرأته وقصته مع الفتيين وقصته مع رسول الملك وقصته مع الملك وقصته مع اخوته في آخر الأمـــر وقصته حين اجتمع بأبويه واخوته ثم قال تعالى بعد ذلك (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) الآيات الى قوله (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب مـــا كان حديثا يفترى) الآية •

وفي هذه الآية الكريمة أبلغ رد على ابن محمود لان الله تعالى أخبر أن في قصص المرسلين عبرة لأولي الألباب،والعبرة لا تكون في عددهم وانما تكون في اخبارهم وما جرى لهم مع قومهم ، ولو كان الامر على ما زعمه ابن محمود لكان معنى الآية ان في عدد المرسلين عبرة لأولي الألباب وهذا مما ينزه عنه كلام الله تبارك وتعالى ٠

وقال تعالى مخبرا عن أصحاب الكهف (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) وقال تعالى في سورة طه بعد ما ذكر قصصا كثيرة لموسى عليه الصلاة والسلام (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) وقال تعالى في أول سورة القصص (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) وقال تعالى مخبرا عن موسى وعن الرجل الصالح (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) ٠

والمقصود مما ذكرنا أمران أحدهما بيان معنى القصص الذي قال الله تعالى فيه (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وقوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) وان المراد بذلك ذكر أخبارهم وما جرى لهم مع قومهم ، الثاني بيان غلط ابن محمود فيما ذهب اليه من حمل القصص على ذكر عدد الانبياء وبيان أنه لا دليل على ذلك لا من القرآن ولا من السنة ولا من لغة العرب وما كان هكذا فينبغي أن لا يلتفت اليه ٠

وأما السابع : وهو قوله في صفحة (٦) وقد وردت عدة أحاديث في عدد الانبياء يخالف بعضها بعضا وكلها من الضعاف التي لا يحتج بها وقد ساقها ابن كثير في التفسير من آخر سورة النساء وبعضها من قول كعب الاحبار ٠

فجوابه : أن يقال ان الاحاديث التي ذكرها ابن كثير في

تفسير سورة النساء في عدد الانبياء ليس فيها شيء من قول كعب الاحبار وانما الذي ذكره عن كعب الاحبار هو في تكليم الله لموسى عليه الصلاة والسلام ، فما قاله ابن محمود وهم وغلط .

وأما الثامن : وهو قوله في صفحة(٦)والذي عليه المحققون من السلف ان لله أنبياء كثيرين لا يعلم عددهم الا الله ، وقالوا ان من عد الانبياء فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به ، ومثله قوله في عدد الرسل وانهم ثلثمائة وثلاثة عشر .

فجوابه : من وجوه أحدها أن يقال لا يخفى مافي هذا القول من المجازفة والقول على السلف بما لم ينقل عن أحد منهم فيما أعلم .

الوجه الثاني : قال أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي في كتابه « أصول الدين » أجمع أصحاب التواريخ من المسلمين على أن عدد الانبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، كما وردت به الاخبار الصحيحة . أولهم أبونا آدم عليه السلام وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأجمعوا على أن الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر ــ الى أن قال ــ واذا صح لنا أن الرسل ثلثمائة وثلاثة عشر قلنا ان خمسة منهم من أولي العزم المذكورين في القرآن وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وخمسة منهم من العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام انتهى .

وفيما ذكره من اجماع أصحاب التواريخ من المسلمين على عدد الانبياء والرسل أبلغ رد على ابن محمود .

الوجه الثالث : أن يقال قد تقدمت الأحـاديث عن أبي ذر وأبي امامة وعوف بن مالك رضي اللـه عنهم في عدد الانبياء والمرسلين ، وأحاديثهم يشد بعضها بعضا وتشهد لها الرواية الصحيحة في اثبات نبوة آدم عليه الصـلاة والسلام وعـدد الرسل ، وتقدم أيضا ما ذكره ابن قتيبة في كتاب « المعارف » عن ابن عباس رضي الله عنهما في عدد الانبياء والرسل وهـو موافق لما جاء في الاحاديث الثلاثة عن أبي ذر وأبي أمامة وعوف ابن مالك رضي الله عنهم ، وعلى هذا فهل يأمن ابن محمود أن يكون قد خطأ النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه انه قـد تكلف ما لا علم له به ، وأن يكون أيضا قد خطأ حبر الامة ابن عباس رضي الله عنهما وقال فيه انه قد تكلف مالا علم له به ، ولا يخفى أن هذا المحذور ليس ببعيد من ابن محمود ٠

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة
وان كنت تدري فالمصيبـة أعظم

الوجه الرابع : أن يقال قد تقدم ما رواه الطبراني والحاكم باسناد صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه في عـدد الرسل وانهم كانوا ثلثمائة وخمسة عشر قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي في تلخيصـه ، وقال الهيثمي في اسناد الطبراني رجاله رجال الصحيح ٠

وهذا الحديث لا يرده الا جاهل أو مكابر ، وقد قال الامام أحمد رحمه الله تعالى كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم اسناد جيد أقررنا به واذا لم نقر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره قال الله تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ٠

وروى القاضي أبو الحسين في طبقات الحنابلة من طريق أبي بكر الآدمي المقري حدثنا الفضل بن زياد القطان قال سمعت أبا عبد الله ــ يعني أحمد بن حنبل ــ يقول من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة ٠

وذكر القاضي أبو الحسين أيضا في ترجمة الحسن بن علي بن خلف أبي محمد البربهاري ــ وهو من أعيان العلماء في آخر القرن الثالث وأول القرن الرابع من الهجرة ــ أنه قال في كتابه « شرح السنة » ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الاسلام حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل أو يرد شيئا من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله فقد وجب عليك أن تخرجه من الاسلام وقال البربهاري أيضا من رد آية من كتاب الله فقد رد الكتاب كله ومن رد حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رد الأثر كله وهو كافر بالله العظيم ٠

وذكر القاضي أبو الحسين أيضا في ترجمة ابراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا أنه قال من خالف الاخبار التي نقلها العدل عن العدل موصولة بلا قطع في سندها ولا جرح في ناقليها وتجرأ على ردها فقد تهجم على رد الاسلام لان الاسلام وأحكامه منقولة الينا بمثل ما ذكرت انتهى ٠

واذا علم هذا ففي الحديث الذي ذكرنا في عدد الرسل أبلغ رد على ابن محمود في تخطئته من عد الرسل وزعمه أن من عدهم فقد تكلف ما لا علم له به ، وما يدري هدانا الله واياه ووفقنا جميعا لاتباع الحق ان كلامه هذا يتناول النبي صلى الله عليه وسلم ، وما أعظم ذلك وأبشعه وأشد الحكم فيه ، فالواجب عليه أن يبادر الى التوبة من هذه الزلة العظيمة ٠

وأما التاسع : وهو تغليطه من فرق بين الانبياء والرسل فقد صرح بذلك في آخر صفحة (٥) وفي أثناء صفحة (٦) وهذا ملخص كلامه ، قال ويترجح أن هذا الاعتقاد في قولهم أن النبي هو من أوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه انه انما دخل على الناس من عهد قريب حيث أنه ليس معروفا عند الصحابة والتابعين ولا السلف السابقين ـ الى أن قال ـ فهذه الغلطة في التفريق بين الرسول والنبي يظهر أنها انما دخلت على الناس من طريق حديث موضوع رواه ابن مردويه عن أبي ذر ـ الى أن قال ـ وكأن هذا منشأ الغلط في التفريق بين الانبياء والرسل وأن النبي غير الرسول اذ النبي هو من أوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فليس كل نبي رسولا بزعمهم ، وهذا التفريق لم نجد له أصلا قطعا ٠

والجواب عن هذا منوجوه أحدها أن يقال قد تقدم الجواب عن قوله ان التفريق بين الرسول والنبي ليس معروفا عند الصحابة والتابعين والسلف السابقين فليراجع ٠

الوجه الثاني : أن يقال قد تقدم ما ذكره أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي عن أصحاب التواريخ من المسلمين انهم أجمعوا على أن عدد الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وان عدد الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر ، وتقدم أيضا قول ابن حزم في التفريق بين الرسول والنبي أنه لا خلاف فيه ، وهذا يقتضي أن التفريق بين الرسول والنبي متفق عليه بين أهل السنة والجماعة ، وتقدم أيضا ما ذكره الرازي عن المعتزلة أنهم قالوا كل رسول نبي وكل نبي رسول ولا فرق بينهما ، واذا علم هذا فنقول ان الغالط في الحقيقة هو من خالف أهل السنة والجماعة واتبع أهل البدعةوالضلالة من المعتزلة ومن قال بقولهم الباطل ٠

الوجه الثالث : أن يقال ان الأصل في التفريق بين الرسول والنبي هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكر الأدلة منهما على ذلك ، واذا كان هذا الاصل قد خفي على ابن محمود ولم يجده فقد ظهر ذلك لغيره من العلماء ووجدوه صريحا في الكتاب والسنة، وقد ذكرت أقوال المفسرين وشراح الأحاديث وغيرهم من أكابر الائمة في ذلك فليراجع ·

وأما العاشر وهو قوله في صفحة (٦) أن ابن الجوزي وكثيرا من العلماء ذكروا حديث أبي ذر في الموضوعات ·

فجوابه : أن يقال قد جاء في آخر تفسير سورة النساء من تفسير ابن كثير بعد ذكر رواية ابن مردويه لحديث أبي ذر رضي الله عنه ما نصه، وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم ابن حبان البستي في كتابه الأنواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحة وخالفه أبو الفرج ابن الجوزي فذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هشام ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث والله أعلم انتهى ما جاء في تفسير ابن كثير، والظاهر أن ابن محمود قال ما نسبه الى ابن الجوزي تقليدا لما جاء في تفسير ابن كثير ، وقد تصفحت كتاب الموضوعات لابن الجوزي من أوله الى آخره وتتبعته حديثا حديثا فما وجدته ذكر حديث أبي ذر رضي الله عنه ولا أشار اليه، وتصفحت أيضا عدة كتب مما صنف في الموضوعات فما وجدتهم ذكروا حديث أبي ذر رضي الله عنه ولا أشاروا اليه ، وهذا مما يثير الشك فيما جاء في تفسير ابن كثير فلعله مقحم فيه وليس من كلام ابن كثير والله أعلم ·

واذا علم هذا فحديث أبي ذر رضي الله عنه قد رواه ابن حبان في صحيحه مطولا ، وروى الحاكم في مستدركه طرفا منه

في فضل آية الكرسي وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه ·
وقد روي بعضه من حديث أبي أمامة وعوف بن مالك رضي الله عنهما ، وروى الطبراني والحاكم طرفا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه في ذكر نبوة آدم وعدد الرسل ، قال الهيثمي ورجال الطبراني رجال الصحيح،وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي في تلخيصه ، وروى ابن حبان في صحيحه طرفا منه في ذكر نبوة آدم وقال فيه ابن كثير في « البداية والنهاية » وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه ، وهذه الرواية الصحيحة تشهد لحديث أبي ذر رضي الله عنه وتقويه ·

وعلى هذا فالحكم عليه بالوضع فيه نظر لا يخفى،وكذلك اتهام ابراهيم بن هشام به فيه نظر لا يخفى لان ابراهيم بن هشام لم ينفرد بروايته بل قد روي من طرق متعددة ليس فيها ابراهيم بن هشام وقد تقدم ذكرها فلتراجع ففيها دليل على براءة ابراهيم بن هشام مما اتهم به والله أعلم ·

وأما الحادي عشر وهو قوله في آخر صفحة (٦) ومثله قوله في آدم وأنه أول الرسل والصحيح أن أول الرسل نوح·

فجوابه : أن يقال قد تقدم ما رواه الطبراني في الاوسط باسناد صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أنبي كان آدم قال « نعم » الحديث قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح ورواه ابن حبان في صحيحه بهذا اللفظ وقال فيه ابن كثير في « البداية والنهاية » وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه ، ورواه الحاكم في مستدركه ولفظه أن رجلا قال يا رسول الله أنبي كان آدم قال «نعم معلم مكلم» الحديث قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه ، وفي هذا الحديث الصحيح أبلغ رد على من نفى نبوة آدم عليه الصلاة والسلام ·

وفي حديث أبي ذر الطويل قلت يا رسول الله كم الرسل قال « ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا » قلت يا رسول الله من كان أولهم قال « آدم عليه السلام » قلت يا رسول الله أنبي مرسل قال « نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا » رواه ابن حبان في صحيحه ، ورواه ابن جرير في أول تاريخه بنحوه وقال فيه قلت يا رسول الله وآدم نبي مرسل قال « نعم » الحديث .

وفي حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن أبا ذر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أو نبي كان آدم قال « نعم نبي مكلم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم قال له يا آدم قبلا » رواه الامام أحمد والطبراني في الكبير ، ورواه ابن جرير في أول تاريخه بنحوه .

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن أبا ذر رضي الله عنه جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فذكر الحديث وفيه ـ قلت يا رسول الله فأي الأنبياء كان أول فقال « آدم » فقلت أو نبيا كان قال « نعم نبي مكلم » الحديث ذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » ونسبه لاسحاق بن راهويه ، وهذا الحديث والحديثان قبله يشد بعضها بعضا وتشهد لها الرواية الصحيحة عن أبي أمامة رضي الله عنه ، وفيها الرد على من نفى نبوة آدم عليه الصلاة والسلام .

وقد قال ابن قتيبة في كتاب « المعارف » ذكر وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « أول المرسلين آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن جرير في تاريخه وكان آدم مع ما كان الله عز وجل قد أعطاه من ملك الارض والسلطان فيها قد نبأه الله وجعله رسولا الى ولده وأنزل عليه احدى وعشرين صحيفة

كتبها آدم عليه السلام بخطه علمه اياها جبرئيل عليه السلام، وقيل انه كان مما أنزل الله تعالى على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وحروف المعجم في احدى وعشرين ورقة انتهى .

وقال أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي في كتابه « أصول الدين » أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام وآخرهم عند المسلمين محمد صلى الله عليه وسلم ــ الى أن قال ــ وقد كان آدم عليه السلام مرسلا الى جميع ولده الذين أدركوه انتهى .

وقال القاضي عياض في كتابه « الشفا » والصحيح والذي عليه الجم الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، وأول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم انتهى .

وفيما ذكره عبد القاهر بن طاهر من اجماع المسلمين على أن أول الرسل آدم عليه السلام أبلغ رد على من نفى نبوته .

وأما ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه المتفق على صحته في ذكر الشفاعة أن الناس اذا طلبوا من آدم الشفاعة يقول لهم « ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله الى أهل الأرض » وكذلك ما في حديث أبي هريرة المتفق على صحته في ذكر الشفاعة أن الناس يقولون لنوح «يا نوح أنت أول الرسل الى أهل الارض»

فقد أجاب عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري فقال في ذكر نوح من أحاديث الانبياء ، أما كونه أول الرسل فقد استشكل بان آدم كان نبيا وبالضرورة تعلم أنه كان على شريعة من العبادة وأن أولاده أخذوا ذلك عنه فعلى هذا فهو رسول اليهم فيكون هو أول رسول ، فيحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم الى أهل الارض لانه في زمن آدم لم يكن للارض أهل ، أو لان رسالة آدم الى بنيه كانت كالتربية

للاولاد ، ويحتمل أن يكون المراد أنه رســـول أرسل الى بنيه وغيرهم من الامم الذين أرسل اليهم مع تفرقهم في عدة بلاد ، وآدم انما أرسل الى بنيه فقط وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة .

وقال الحافظ أيضا في شرح « باب صفة الجنة والنار » من كتاب الرقاق ما ملخصه ، وقد استشكلت هــذه الاولية بان آدم نبي مرسل وكذا شيث وادريس وهم قبل نوح ، ومحصل الأجوبة عن الاشكال المذكور أن الأولية مقيدة بقوله « أهـــل الارض » لان آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى أهـل الارض ، ومن الاجوبة أن رسالة آدم كانت الى بنيــه وهم موحـــدون ليعلمهم شريعته ، ونوح كانت رسالته الى قوم كفار يدعوهم الى التوحيد انتهى .

ونقل النووي في شرح مسلم عن القاضي عياض ما ملخصه أن آدم وشيث رسالتهما الى من معهما وأن آدم انمـــا أرسل لبنيه ولم يكونوا كفارا ، بل أمر بتعليمهم الايمان وطاعة الله تعالى ، وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالـــة نوح الى كفار أهل الارض انتهى .

وقد تقدم في كلام شيخ الاســلام أبي العباس ابن تيمية المنقول من كتاب النبوات نحو ذلك .

وأما الثاني عشر وهو زعمــه أن من فرق بين الرســـول والنبي فقد فرق بين الانبياء في الايمان ، قال في صفحـــة (٩) ما نصــــه :

ويجب تنزيه الانبياء عن هذا الاعتقاد الذي هـــو تفريق بينهم ــ الى أن قال ــ ولاشك أن وصف أحدهم بأنه نبي وليس برسول لكونه أوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغــه وبعضهم نبي رسول أن هذا هو حقيقة التفريق بينهم اذ فيه ازالـــة

وصف الرسالة التي هي أعلا المراتب عن بعضهم لانه وان فسر هذا التفريق بالايمان ببعضهم والكفر ببعض فـــان الخطاب محتمل لهذا وذاك اذ كلا الأمرين تفريق بينهم والقرآن يوجب على المؤمنين أن يؤمنوا بجميع الانبياء بدون تفريق ·

فجوابه : من وجوه أحدها أن يقال ان القول بوجوب تنزيه الانبياء عن التفريق بين الرسول منهم والنبي قول أحدثه ابن محمود لم يسبقه اليه أحـــد ولا قال أحد قبله أن التفريق بين الرسول والنبي من الايمان ببعض الانبياء والكفر ببعضهم · وقد قيل :

وكل خـــير في اتباع من سلف

وكل شـــر في ابتداع من خلف

الوجه الثاني : أن يقال أن الله تعالى قد فرق بين الرسول والنبي في كتابه وفرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث تقدم ذكرها ، وفي هذا أبلغ رد على من زعم أن التفريق بين الرسول والنبي لا يجوز وانه يجب تنزيه الانبياء عنـــه ·

الوجه الثالث : اذا علم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فرق بين الرسول والنبي فهل يقول ابن محمود أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فرق بين الانبياء وأنه قال قولا يجب تنزيه الانبياء عنه ، أم ماذا يجيب به عن قوله الذي لم يتثبت فيه ·

الوجه الرابع : قد ذكرت فيما تقدم قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد في التفريق بين الرســـول والنبي وذكرت أيضا أقوال كثير من المفسرين وغيرهم من أكابر العلماء في ذلك وهم الذين كانوا في أول القرن الثامن فما قبله، وتركت ماقاله كثير من المتأخرين في ذلك فلم أذكره وهم الذين كانوا في آخر

القرن الثامن فما بعده ، وكل من ذكرت أقوالهم فيما تقدم ومن أشرت اليهم ههنا ولم أذكر أقوالهم يكونون على زعم ابن محمود قد قالوا قولا يجب تنزيه الانبياء عنه وفرقوا بين الانبياء فآمنوا ببعضهم ولم يؤمنوا ببعضهم ، ولا يخفى ما في هذا القول المحدث من المجازفة السيئة والتحامل الذميم ، ولا شك أنهم هم المصيبون في تفريقهم بين الرسول والنبي وان الخطأ لازم لمن شذ عنهم وخالف قولهم كالمعتزلة ومن نحا نحوهم وقال بقولهم الباطل في المنع من التفريق بين الرسول والنبي .

الوجه الخامس : اننا ننزه ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهدا وجميع الذين صرحوا بالتفريق بين الرسول والنبي عما زعمه ابن محمود من كونهم فرقوا بين الانبياء في الايمان وانهم قالوا قولا يجب تنزيه الانبياء عنه .

الوجه السادس : أن يقال ليس التفريق بين الرسول والنبي من التفريق الذي يجب تنزيه الانبياء عنه وانما هو من التفضيل الذي قال الله تعالى فيه (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) ففضل بعض الانبياء بالرسالة كما فضل بعض الرسل على بعض ففضل أولي العزم على سائر الرسل وفضل ابراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم على الجميع بالخلة ، وفضل آدم بان خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته ، وفضل موسى عليه الصلاة والسلام بالتكليم ، وفضل عيسى عليه الصلاة والسلام بأنواع من التفضيل ، ولم يقل أحد أن تفضيل بعض الرسل على بعض من التفريق بينهم فكذلك يقال في تفضيل بعض الانبياء على بعض بالرسالة .

قال القاضي عياض في كتابه « الشفا » بعد أن ذكر الاحاديث الواردة في النهي عن التفضيل بين الانبياء وذكر أقوال العلماء في تأويلها — الى أن قال — الوجه الرابع منع

التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف ، وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور أخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اؤلو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من أوتي الحكم صبيا وأوتي بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) الآية وقال (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) الآية ، قال بعض أهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال أن تكون آيته ومعجزاته أبهر وأشهر ، أو تكون أمته أزكى وأكثر ، أو يكون في ذاته أفضل وأظهر ، وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه انتهى .

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) لا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الانبياء وان اؤلي العزم منهم أفضل وهم الخمسة المذكورون نصا في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وفي الشورى في قوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ولا خلا فأن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم ثم بعده ابراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام على المشهور انتهى .

وأما الثالث عشر وهو قوله في صفحة (٨) ما نصه :

فان قيل في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول

ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ اللــــه ما يلقي الشيطان ثم يحكم اللــه آياته) فعطف بالنبي عـــلى الرسول بالواو المفيدة للمغايرة فكأن النبي غير الرسول ، ثم أجاب بأن هذا يقع كثيرا في القرآن والسنة يعطف بالشيء على الشيء ويراد بالتالي نفس الأول كما في قولــه (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) فغاير بينهما بحرف العطف ومعلوم أن المسلمين هم المؤمنون والمؤمنين هم المسلمون فــلا يقال فـــلان مسلم وليس بمؤمن ولا أنه مؤمن وليس بمسلم وانما هو تنوع اسم والمسمى واحد، نظيره قوله(من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) فعطف بجبريل وميكال على الملائكة وهما منهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال « فادعـــوا بدعوى اللــــه الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله » ، مثله قول أحدنا « لا حــول ولا قوة الا بالله » وغير ذلك من الألفاظ التي يعطف بعضها عـــلى بعض ويراد بالتالي نفس الأول .

فالجواب عنه من وجوه أحدها أن يقال أن كلام ابن محمود ينقض بعضه بعضا لانه قرر أن اللــه تعالى عطف بالنبي عــلى الرسول بالواو المفيدة للمغايرة وانه تعالى غاير بين المسلمين والمؤمنين بحرف العطف ، ثم نقض ذلك بقوله انه يقع كثيرا في القرآن والسنة يعطف بالشيء على الشيء ويراد بالتالي نفس الأول ، وبقوله أيضا ومعلوم أن المسلمين هم المؤمنون الى آخر كلامــــه .

الوجه الثاني : أن يقال ان وقوع المغايرة بين الشيئين لا بد أن يكون من أجل فارق بينهما ، ومن زعـم أنه لا فــــرق بين الرسول والنبي ولا بين المسلم والمؤمن فقد أبطل فائدة المغايرة

الوجه الثالث :أن الفرق بين الرسول والنبي ثابت بالأدلة الصريحة من الكتاب والسنة وقد تقدم بيان ذلك ، وتقــــدم

أيضا قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغيرهما من أكابر العلماء في ذلك ، وتقدم أيضا ما ذكره أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي عن أصحاب التواريخ من المسلمين أنهم أجمعوا على أن عدد الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وان عدد الرسل منهم تلثمائة وثلاثة عشر ، وتقدم أيضا قول ابن حزم في التفريق بين الرسول والنبي أنه لا خلاف فيه فليراجع كل ما تقدم ذكره ففيه أبلغ رد على من أبطل فائدة المغايرة بين الرسول والنبي ·

الوجه الرابع : أن النبي صلى الله عليه وسلم فرق بين الاسلام والايمان حين سأله جبريل عنهما وصدقه جبريل على ذلك ، وقد جاء ذلك في عدة أحاديث صحيحة ، منها حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا » قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فاخبرني عن الايمان قال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال صدقت· الحديث وفي آخره ثم قال لي « يا عمر أتدري من السائل » قلت الله ورسوله أعلم قال « فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » رواه الامام أحمد ومسلم وأهل السنن وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ·

وقد رواه عبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة ببعض

الأسانيد التي ساقها مسلم في صحيحه ولم يسق لفظها وفيه أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما الاسلام قال « الاسلام أن تسلم وجهك لله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » قال فاذا فعلت ذلك فأنا مسلم قال « نعم » قال صدقت قال فقلنا أنظروا كيف يسأله وكيف يصدقه ، قال وقال يا رسول الله ما الاحسان قال « تخشى الله كأنك تراه أو تعبد الله كأنك تراه فانك ان لا تراه فانه يراك » قال صدقت ، قال قلنا انظروا كيف يسأله وكيف يصدقه ، قال فقال يارسول الله ما الايمان قال «الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت وبالبعث وبالجنة وبالنار وبالقدر كله » قال فاذا فعلت ذلك فقد آمنت قال « نعم » قال صدقت قال قلنا انظروا كيف يسأله وكيف يصدقه .

ورواه ابن حبان في صحيحه وقال فيه « الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيم الصلاةوتؤتي الزكاة وتحج وتعتمر وتغتسل من الجنابة وأن تتم الوضوء وتصوم رمضان » قال فاذا فعلت ذلك فأنا مسلم قال « نعم » قال صدقت قال يا محمد ما الايمان قال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال فاذا فعلت ذلك فأنا مؤمن قال « نعم » قال صدقت ، ورواه الدارقطني في سننه بنحو رواية ابن حبان وقال اسناده ثابت صحيح أخرجه مسلم بهذا الاسناد .

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحو حديث عمر رضي الله عنه رواه البخاري ومسلم وأهل السنن الا الترمذي

ومنها حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما بنحو حديث عمر رضي الله عنه وفيه أن جبريل قال يا محمد أخبرني

ما الاسلام قال « الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان » قال فاذا فعلت ذلك فقد أسلمت قال « نعم » قال صدقت ، قال يا محمد أخبرني ما الايمان قال « الايمان بالله وملائكته والكتاب والنبيين وتؤمن بالقدر » قال فاذا فعلت ذلك فقد آمنت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قال صدقت رواه النسائي .

ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما بنحو حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما رواه الامام أحمد وأبو داود والآجري في كتاب الشريعة .

وفي هذه الأحاديث أبلغ رد على من زعم أن مسمى الاسلام والايمان واحد ، قال النووي رحمه الله تعالى في شرح الأربعين له بعد أن ذكر حديث عمر رضي الله عنه الذي تقدم ، وقد غاير الله تعالى بين الايمان والاسلام كما في الحديث قال الله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) .

ونقل النووي في شرح مسلم عن أبي عمرو ابن الصلاح أنه قال ان الايمان والاسلام يجتمعان ويفترقان وان كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا، قال وهذا تحقيق وافر بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الايمان والاسلام التي طالما غلط فيها الخائضون ، وما حققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم انتهى .

الوجه الخامس : أن يقال ما صرح به ابن محمود في الاسلام والايمان انهما واحد هو قول الخوارج والمعتزلة ومن تبعهم وهو قول مخالف لظاهر القرآن وللاحاديث الصحيحة ولما عليه جمهور أهل السنة والجماعة كما سيأتي بيان ذلك في كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وابن كثير وابن رجب ، وهذه المسألة قد

تكلم فيها شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه اللـــه تعالى وغيره من أكابر العلماء بما فيه كفاية في بيان الحق ورد الباطل ، قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كتاب الايمــان الكبير ، قد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام بين مسمى الاســــلام ومسمى الايمان ومسمى الاحسان فقال « الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا » وقال « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقــــدر خيره وشره » .

والفرق مذكور في حديث عمر الــذي انفرد به مسلم وفي حديث أبي هريرة الذي اتفق البخاري ومسلم عليه ، وكلاهما فيه أن جبرئيل جاءه في صورة انسان أعرابي فسأله ، وكذلك فسر الاسلام في حديث ابن عمر المشهور قال « بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » ، وحديث جبرئيل يبين أن الاسلام المبني على خمس هــو الاسلام نفسه ليس المبني غير المبني عليه ، بل جعل النبي صلى اللـــه عليه وسلم الدين ثلاث درجات أعلاها الاحسان وأوسطها الايمــان ويليه الاسلام،فكل محسن مؤمن وكل مؤمن مسلم وليس كل مؤمن محسنا ولا كل مسلم مؤمنا ــ الى أن قال ــ وفي المسند عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الاسلام علانية والايمان في القلب » وقال صلى الله عليه وسلم « ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب » فمن صلح قلبـــه صلح جسده قطعا بخلاف العكس ، فعلم أن القلب اذا صلح بالايمــان صلح الجسد بالاسلام وهو من الايمان ، يدل عــــلى ذلك أنه قال في

حديث جبرئيل « هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم » فجعل الدين هو الاسلام والايمان والاحسان ، فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة لكن هو درجات ثلاث مسلم ثم مؤمن ثم محسن .

كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة بخلاف الظالم لنفسه ، وهكذا من أتى بالاسلام الظاهر مع تصديق القلب لكن لم يقم بما يجب عليه من الايمان الباطن فانه معرض للوعيد ، وأما الاحسان فهو أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الايمان ، والايمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الاسلام ، فالاحسان يدخل فيه الايمان ، والايمان يدخل فيه الاسلام ، والمحسنون أخص من المؤمنين ، والمؤمنون أخص من المسلمين ـ الى أن قال ـ فلما ذكر الايمان مع الاسلام جعل الاسلام هو الاعمال الظاهرة الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج وجعل الايمان ما في القلب من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهكذا في الحديث الذي رواه أحمد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الاسلام علانية والايمان في القلب» واذا ذكر اسم الايمان مجردا دخل فيه الاسلام والاعمال الصالحة ـ الى أن قال في أثناء الكتاب ـ وقد أثبت الله في القرآن اسلاما بلا ايمان في قوله (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) وقد ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال أعطى النبي صلى الله عليه وسلم رهطا وترك فيهم من لم يعطه وهو أعجبهم الي فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله اني لأراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو مسلما » أقولها ثلاثا ويرددها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ، ثم قال

« اني لأعطي الرجل وغيره أحب الي منه مخافة أن يكبه الله على وجهه في النار » ، فهذا الذي نفى عن أهله دخول الايمان في قلوبهم هل هو اسلام يثابون عليه أم هو من جنس اسلام المنافقين ، فيه قولان مشهوران للسلف والخلف أحدهما أنه اسلام يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وهذا مروي عن الحسن وابن سيرين وابراهيم النخعي وأبي جعفر الباقر وهو قول حماد بن زيد وأحمد بن حنبل وسهل بن عبدالله التستري وأبي طالب المكي وكثير من أهل الحديث والسنة والحقائق .

والقول الثاني أن هذا الاسلام هو الاستسلام خوف السبي والقتل مثل أسلام المنافقين .

قالوا وهؤلاء كفار فان الايمان لم يدخل في قلوبهم ومن لم يدخل الايمان في قلبه فهو كافر ، وهذا اختيار البخاري ومحمد ابن نصر المروزي ـ ثم ذكر الشيخ عن الخوارج والمعتزلة أنهم يخرجون أهل الكبائر من اسم الايمان والاسلام وان الايمان والاسلام عندهم واحد فاذا خرجوا عندهم من الايمان خرجوا من الاسلام ، لكن الخوارج تقول هم كفار والمعتزلة تقول لا مسلمون ولا كفار ينزلونهم منزلة بين المنزلتين ـ وذكر الشيخ الدليل على أن اسلام الأعراب اسلام يثابون عليه وانهم ليسوا منافقين وأطال الكلام في تقرير ذلك الى أن قال :

وقد صار الناس في مسمى الاسلام على ثلاثة أقوال ، قيل هو الايمان وهما اسمان لمسمى واحد ، وقيل هو الكلمة ، لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاسلام والايمان ففسر الاسلام بالاعمال الظاهرة والايمان بالايمان بالاصول الخمسة فليس لنا اذا جمعنا بين الاسلام والايمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر الشيخ أيضا أنه يجب رد ما تنازع الناس فيه الى الله ورسوله ، قال والرد الى الله ورسوله في مسألة الاسلام

والايمان يوجب أن كلا من الاسمين وان كان مسماه واجبا لا يستحق أحد الجنة الا بأن يكون مؤمنا مسلما ، فالحق في ذلك ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل ، فجعل الدين وأهله ثلاث طبقات أولها الاسلام وأوسطها الايمان وأعلاها الاحسان ، ومن وصل الى العليا فقد وصل الى التي تليها ، فالمحسن مؤمن ، والمؤمن مسلم ، وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمنا ، وهكذا جاء القرآن فجعل الأمة على هذه الاصناف الثلاثة قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فالمسلم الذي لم يقم بواجب الايمان هو الظالم لنفسه والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم ، والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه ·

وقال أبو سليمان الخطابي ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة فأما الزهري فقال الاسلام الكلمة والايمان العمل واحتج بالآية ، وذهب غيره الى أن الاسلام والايمان شيء واحد واحتج بقوله (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) قال الخطابي والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق ، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال ولا يكون مؤمنا في بعضها والمؤمن مسلم في جميع الأحوال ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا ، واذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها ·

قال الشيخ والذي اختاره الخطابي هو قول من فرق بينهما كأبي جعفر وحماد بن زيد وعبدالرحمن بن مهدي وهو قول أحمد بن حنبل وغيره ولا علمت أحدا من المتقدمين خالف هؤلاء فجعل نفس الاسلام نفس الايمان ، ولهذا كان عامة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء كما ذكره الخطابي ، وكذلك

ذكر أبو القاسم التيمي الاصبهاني وابنه محمد شارح مسلم وغيرهما أن المختار عند أهل السنة أنه لا يطلق على السارق والزاني اسم مؤمن كما دل عليه النص ـ الى أن قال ـ قال الميموني قلت يا أبا عبدالله تفرق بين الاسلام والايمان قال نعم ، قلت بأي شيء تحتج قال عامة الاحاديث تدل على هذا ، ثم قال « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن »وقال الله تعالى(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) قال وحماد بن زيد يفرق بين الاسلام والايمان ، قال وحدثنا أبو سلمة الخزاعي قال قال مالك وذكر قولهم وقول حماد بن زيد ، فرق بين الاسلام والايمان ، قلت لابي عبدالله فتذهب الى ظاهر الكتاب مع السنن قال نعم،قلت فاذا كانت المرجئة يقولون ان الاسلام هو القول قال هم يصيرون هذا كله واحدا ويجعلونه مسلما ومؤمنا شيئا واحدا على ايمان جبريل ومستكمل الايمان ، قلت فمن ههنا حجتنا عليهم قال نعم ، قال الشيخ فقد ذكر عنه الفرق مطلقا واحتجاجه بالنصوص .

وقال صالح بن أحمد سئل أبي عن الاسلام والايمان قال قال ابن أبي ذئب الاسلام القول والايمان العمل ، قيل له ما تقوله أنت قال الاسلام غير الايمان وذكر حديث سعد وقول النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الشيخ فهو في هذا الحديث لم يختر قول من قال الاسلام القول بل أجاب بان الاسلام غير الايمان كما دل عليه الحديث الصحيح مع القرآن ، وقال أبو الحارث سألت أبا عبد الله قلت قوله « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » قال قد تأولوه فأما عطاء فقال يتنحى عنه الايمان وقال طاووس اذا فعل ذلك زال عنه الايمان ، وروي عن الحسن قال ان رجع راجعه الايمان وقد قيل يخرج من الايمان الى الاسلام ولا يخرج من الاسلام ، وروى هذه المسألة صالح وسأل أباه عن هذه

القصة فقال فيها هكذا يروى عن أبي جعفر قال « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » قال يخرج من الايمان الى الاسلام ، فالايمان مقصور في الاسلام فاذا زنى خرج من الايمان الى الاسلام ، قال الزهري ـ يعني ـ لما روى حديث سعد « أو مسلم » فنرى أن الاسلام الكلمة والايمان العمل ، قال أحمد وهو حديث متأول والله أعلم .

فقد ذكر أقوال التابعين ولم يرجح شيئا وذلك والله أعلم لان جميع ما قالوه حق وهو يوافق على ذلك كله كما قد ذكر في مواضع أخر أنه يخرج من الايمان الى الاسلام ونحو ذلك ، وأحمد وأمثاله من السلف لا يريدون بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره ، بل التأويل عندهم مثل التفسير وبيان ما يؤول اليه اللفظ كقول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن ، والا فما ذكره التابعون لا يخالف ظاهر الحديث بل يوافقه ، وقول أحمد يتأوله أي يفسر معناه وان كان ذلك يوافق ظاهره لئلا يظن مبتدع أن معناه أنه صار كافرا لا ايمان معه بحال كما تقوله الخوارج فان الحديث لا يدل على هذا ، والذي نفى عن هؤلاء الايمان كان يجعلهم مسلمين لا يجعلهم مؤمنين ـ الى أن قال ـ والمقصود هنا أن هنا قولين متطرفين قول من يقول الاسلام مجرد الكلمة، والاعمال الظاهرة ليست داخلة في مسمى الاسلام، وقول من يقول مسمى الاسلام والايمان واحد ، وكلاهما قول ضعيف مخالف لحديث جبريل وسائر أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم انتهى المقصود من كلامه ملخصا .

وقال ابن كثير في تفسير سورة الأحزاب ، قوله تعالى (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) دليل على أن

الايمان غير الاسلام وهو أخص منه لقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) وفي الصحيحين (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فسلبه الايمان ولا يلزم من ذلك كفره باجماع المسلمين فدل على أنه أخص منه ٠

وقال ابن كثير أيضا في تفسير سورة الحجرات ، يقول تعالى منكرا على الاعراب الذين أول ما دخلوا في الاسلام ادعوا لانفسهم مقام الايمان ولم يتمكن الايمان في قلوبهم بعد (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الايمان أخص من الاسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان فترقى من الأعم الى الأخص ثم للأخص منه ، ثم ذكر ابن كثير ما رواه الامام أحمد والشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا ولم يعط رجلا منهم شيئا فقال سعد رضي الله عنه يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا شيئا وهو مؤمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أو مسلم » حتى أعادها سعد رضي الله عنه ثلاثا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول « أو مسلم » ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « اني لأعطي رجالا وادع من هو أحب الي منهم فلم أعطه شيئا مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم » قال ابن كثير فقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمن والمسلم فدل على أن الايمان أخص من الاسلام ، ودل ذلك على أن ذاك الرجل كان مسلما ليس منافقا لانه تركه من العطاء ووكله الى ما هو فيه من الاسلام فدل هذا على أن هؤلآء الاعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين وانما

هم مسلمون لم يستحكم الايمان في قلوبهم فادعوا لانفسهم مقاما أعلى مما وصلوا اليه فأدبوا في ذلك ، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما وابراهيم النخعي وقتادة واختاره ابن جرير ، وانما قلنا هذا لان البخاري رحمه الله ذهب الى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الايمان وليسوا كذلك ، وقد روي عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد أنهم قالوا في قوله تبارك وتعالى (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا خوف القتل والسبي ، وقال قتادة نزلت في قوم امتنوا بايمانهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحيح الأول أنهم قوم ادعوا لانفسهم مقام الايمان ولم يحصل لهم بعد ، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة ، وانما قيل لهؤلاء تأديبا (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) أي لم تصلوا الى حقيقة الايمان بعد انتهى .

وذكر ابن رجب في كتابه « جامع العلوم والحكم » عن المحققين من العلماء أنهم قالوا كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا فانه قد يكون الايمان ضعيفا فلا يتحقق القلب به تحققا تاما مع عمل جوارحه أعمال الاسلام فيكون مسلما وليس بمؤمن الايمان التام كما قال تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) الآية فلم يكونوا منافقين بالكلية على أصح التفسيرين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ، بل كان ايمانهم ضعيفا ، ويدل عليه قوله تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) الآية ، يعني لا ينقصكم من أجورها فدل على أن معهم من الايمان ما يقبل به أعمالهم ، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما قال له لم تعط فلانا وهو مؤمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أو مسلم » يشير الى أنه لم يتحقق مقام الايمان فانما هو في مقام الاسلام الظاهر

ولا ريب أنه متى ضعف الايمان الباطن لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضا ، لكن اسم الايمـان ينفى عمن ترك شيئا من واجباته كما في قولـه « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » وقد اختلف أهل السنة هل يسمى مؤمنا ناقص الايمان أو يقال ليس بمؤمن لكنه مسلم على قولين وهمـا روايتان عن أحمد ، وأما اسم الاسلام فلا ينتفي بانتفاء بعض واجباته أو انتهاك بعض محرماته وانما ينفى بالاتيان بمـا ينافيه بالكلية انتهى المقصود من كلامه رحمه الله تعالى .

وفيما ذكرته من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وابن كثير وابن رجب كفاية في الرد على ابن محمود في زعمه أن مسمى الاسلام والايمان واحد وان المسلمين هم المؤمنون فلا يقـال فلان مسلم وليس بمؤمن .

الوجه السادس : أن يقال في الآية التي أوردهـا ابن محمود وهي قوله تعالى في سـورة الأحزاب (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) الآية أوضح دليل عـلى رد قوله أن مسمى الاسلام والايمان واحد لان اللـه تعالى وصف المؤمنين والمؤمنات في الآية الكريمة بحفظ الفروج كما وصفهم بذلك في سورة المؤمنين حيث يقول تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) ، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يزني الزاني وهو مؤمن » متفق عليه فنفى الايمـان عن الزاني حين يزني ولم ينف عنه الاسلام فدل على أنهمـا متغايران ، وقد تقدم ما ذكره الامام أحمـد عن عطاء أنه قال يتنحى عنه الايمـان ، وعن طاووس أنه قال اذا فعل ذلك زال

عنه الايمان ، وعن الحسن أنه قال ان رجع راجعه الايمان ، وقد قيل يخرج من الايمان الى الاسلام ولا يخرج من الاسلام، وعن أبي جعفر قال يخرج من الايمان الى الاسلام ، وقال في رسالته التي كتبها لمسدد ، ويخرج الرجل من الايمان الى الاسلام ولا يخرجه من الاسلام شيء الا الشرك بالله العظيم أو يرد فريضة من فرائض الله عز وجل جاحدا بها انتهى ، وروى عبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة وأبو بكر الآجري في كتاب الشريعة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال ، الايمان نزه فمن زنا فارقه الايمان فان لام نفسه وراجع راجعه الايمان ٠

وروى عبدالله أيضا عن عثمان بن أبي صفية قال قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لغلمانه يدعو غلاما غلاما يقول ألا أزوجك مامن عبد يزني الا نزع الله منه نور الايمان، ورواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة من طريق الأعمش عن مجاهد قال كان ابن عباس رضي الله عنهما يسمي غلمانه تسمية العرب ويقول لا تزنوا فان الرجل اذا زنى نزع منه نور الايمان ، وروى أيضا عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لغلمانه من أراد منكم الباءة زوجناه فانه لا يزني زان الا نزع الله منه نور الايمان فان شاء أن يرده رده وان شاء أن يمنعه منعه ٠

وروى عبدالله بن الامام أحمد وأبو بكر الآجري عن الحسن أنه قال يجانبه الايمان ما دام كذلك فان راجع راجعه الايمان، وروى عبد الله أيضا عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال هذا الاسلام ودور دائرة وفي وسطها أخرى وهذا الايمان التي في وسطها مقصور في الاسلام قال فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » يخرج

من الايمان الى الاسلام ولا يخرج من الاسلام فاذا تاب تاب الله عليه قال رجع الى الايمــان ، ورواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة بنحوه وزاد في رواية ولا يخرجه من الاسلام الا الشرك ثم قال الآجري ما أحسن ما قال محمد بن علي رضي الله عنهما وذلك أن الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والاسلام لا يجوز أن يقال يزيد وينقص ، وقد روي عن جماعة ممن تقــدم ـ أي من السلف ـ أنهم قالوا اذا زنى نزع منه الايمان ، فان تاب رد الله تعالى اليه الايمان، كل ذلك دليل على أن الايمان يزيد وينقص ، والاسلام ليس كذلك ، ألا ترى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين العبد وبين الكفــر ترك الصلاة فمن ترك الصلاة فقد كفر انتهى .

وقد عقد ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه « روضــــة المحبين » فصلا ذكر فيه أن الزنى يجمع خلال الشر كلهـــا ثم ذكر أنواعا مما فيه من الشر ـ الى أن قال ـ ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن كما في الصحيحين عن النبي صلى اللــه عليه وسلم أنه قال « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فسلبه اسم الايمان المطلق وان لم يسلب عنه مطلق الايمـــان ، وسئل جعفر بن محمد عن هذا الحديث فخط دائرة في الارض وقال هذه دائرة الايمان ثم خط دائرة أخرى خارجة عنها وقال هذه دائرة الاسلام فاذا زنى العبد خرج من هــذه ولم يخرج من هذه ، ولا يلزم من ثبوت جزء ما من الايمان لــــه أن يسمى مؤمنا كما أن الرجل يكون معه جزء من العلم والفقه ولا يسمى به عالما فقيها ، ومعه جزء من الشجاعة والجـــود ولا يسمى بذلك شجاعا ولا جوادا ، وكذلك يكون معه شيء من التقوى ولا يسمى متقيا ونظائره ، فالصواب اجراء الحـــديث على ظاهره ولا يتأول بما يخالف ظاهره والله أعلم انتهى .

ويلزم على قول ابن محمود أحد أمرين اما اثبات الايمان للزاني حين يزني وهذا يعارض الحديث الصحيح الذي تقدم

ذكره ، ويوافق قول المرجئة الذين يعتقدون أنه لا يضر مع الايمان معصية ، واما نفي الايمان والاسلام معا عن الزاني حين يزني وهذا يوافق قول الخوارج والمعتزلة الذين يخرجون أهل الكبائر من اسم الايمان والاسلام لان الايمان والاسلام عندهم واحد فاذا خرجوا من الايمان خرجوا من الاسلام ، فقول ابن محمود لا يخلو من موافقة المرجئة أو موافقة الخوارج والمعتزلة ، فليختر ما يناسبه من القولين ان كان لا يزال مصرا على قوله الباطل .

الوجه السابع : أن ابن مسعود رضي الله عنه عاب على الذين ادعوا لانفسهم الايمان ، قال عبدالله بن الامام أحمد في كتاب السنة حدثني أبي حدثنا يحي حدثنا شعبة حدثني مغيرة عن أبي وائل قال قال رجل عند عبد الله اني مؤمن قال قل اني في الجنة ، اسناده صحيح على شرط الشيخين .

وقال عبدالله أيضا حدثني أبي حدثنا يحي حدثنا شعبة حدثني سلمة بن كهيل عن ابراهيم عن علقمة قال قال رجل عند عبدالله اني مؤمن قال قل اني في الجنة ولكنا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، اسناده صحيح على شرط الشيخين

وقال عبد الله أيضا حدثني أبي حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي وائل قال جاء رجل الى عبدالله فقال يا أبا عبدالرحمن لقيت ركبا فقلت من أنتم فقالوا نحن المؤمنون قال عبدالله أفلا قالوا نحن أهل الجنة ، اسناده صحيح على شرط الشيخين

وقال عبدالله أيضا حدثني يعقوب بن ابراهيم الدورقي حدثنا عبدالرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن مغيرة قال قال رجل لابي وائل سمعت ابن مسعود يقول « من شهد انه مؤمن فليشهد أنه من أهل الجنة » قال نعم ، اسناده صحيح على شرط الشيخين .

وروى أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة عن الحسن قال قال رجل عند ابن مسعــود اني مؤمن قال فقيل لــه يا أبا عبدالرحمن يزعم أنه مؤمن قال فاسألوه أهو في الجنة أو في النار قال فسألوه فقال الله أعلم فقال ألا وكلت الأولى كمـا وكلت الأخرى ٠

وهذا القول من ابن مسعود رضي اللــه عنه ظاهر في التفريق بين مسمى الاسلام ومسمى الايمان لانه عاب عـلى الذين قالوا انهم مؤمنون ولم ينقل عنه ولا عن غيره من العلماء أنهم عابوا على من قال انه مسلم فدل على أن الاسلام والايمان متغايران ٠

وقد كان كثير من علماء السلف يرون الاستثناءفي الايمان ويعيبون علي من لا يستثني ، قال عبدالله بن الامام أحمد في كتاب السنة حدثني أبي حدثنا علي بن بحر سمعت جرير بن عبدالحميد يقول الايمـان قول وعمـل قال وكان الأعمش ومنصور ومغـيرة وليث وعطاء بن السائب واسماعيل بن أبي خالد وعمارة بن القعقاع والعـلاء بن المسيب وابن شبرمة وسفيان الثوري وأبو يحي صاحب الحسن وحمـزة الزيات يقولون نحن مؤمنون ان شاء الله ويعيبون على من لا يستثنى وقد رواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعةعن أبي نصرمحمد بن كردي عن المروذي عن الامام أحمد فذكره بمثله ٠

وقال عبدالله أيضا قرأت على أبي جعفر حدثنا مهدي بن جعفر الرملي حدثنا الوليد يعني ابن مسلم سمعت أبا عمرو يعني الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبدالعزيز ينكرون أن يقول أنا مؤمن ويأذنون في الاستثناء أن أقول أنا مؤمن ان شاء اللــه ٠

وروى عبدالله أيضـــا وأبو بكر الآجري عن الحسن بن عبيد اللـــه قال قال لي ابراهيم اذا قيل لك أمؤمن أنت فقل أرجو ان شاء الله تعالى .

وروى عبد الله والآجري أيضا عن ابراهيم قال قال رجل لعلقمة أمؤمن أنت قال أرجو ان شاء الله تعالى .

وروى القاضي أبو الحسين في طبقات الحنابلة عن محمـد ابن الحسن بن هارون بن بدينا قال سألتأبا عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ عن الاستثناء في الايمان فقال نعم قداستثنى ابن مسعود وغيره وهو قول الثوري استثناء على غير شـــك مخافـــة واحتياطا للعمل ، قال أبو عبدالله قال اللـــه تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) قال أبو عبدالله قال النبي صلى الله عليه وسلم « اني لارجو أن أكون أتقـاكم للـــه » .

وذكر القاضي أبو الحسين أيضا في ترجمة عيسى بن جعفر الوراق قال عيسى سألت أبا عبدالله عن الاستثناء في الايمان فقال اذهب فيه الى قول الله عز وجل (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم) فقـــد علم أنهم داخلون واستثنى ، والى قوله عز وجل (ادخلوا مصر ان شاء اللـــه) وقول النبي صلى الله عليه وسلم «سلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون » فقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لاحق بهم واستثنى .

وقال عبدالله بن الامام أحمد في كتاب السنة سمعت أبي يقول الحجة على من لا يستثني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل القبور « وانا ان شاء الله بكم لاحقـــون » ثم روى حديث عائشة رضي الله عنها في ذلك وحديثها أيضا أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال « أما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسئلون » فذكر الحديث وفيه « ويقال على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله » قال أبي نصير الاستثناء على العمل لان القول قد جئنا به .

وقال عبد الله أيضا حدثني أبي سمعت يحي بن سعيد يقول ما أدركنا من أصحابنا ولا بلغني الا على الاستثناء ، قال يحي وكان سفيان الثوري ينكر أن يقول أنا مؤمن ، ورواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة من طريق الامام أحمد .

وقال عبدالله أيضا حدثني أبي سمعت سفيان بن عيينة يقول ان قال ان شاء الله ليس يكره وليس بداخل في الشك . ورواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة من طريق الامام أحمد .

وقال عبدالله أيضا حدثني أبي حدثنا وكيع قال قال سفيان الثوري الناس عندنا مؤمنون في الاحكام والمواريث ونرجو أن نكون كذلك ولا ندري ما حالنا عند الله ، ورواه أبو بكر الآجري عن جعفر الصندلي حدثنا الفضل بن زياد قال سمعت أحمد قال حدثنا وكيع فذكره بمثله .

وقال عبدالله أيضا حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن شماس سمعت جرير بن عبدالحميد يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، قيل له كيف تقول أنت قال أقول مؤمن ان شاء الله .

وقال عبدالله أيضا حدثني أبي قال سليمان بن داود أخبرنا خالد بن عبدالرحمن بن بكر السلمي قال كنت عند محمد وعنده أيوب فقلت له يا أبا بكر الرجل يقول لي مؤمن أنت ، أقول مؤمن فانتهرني أيوب فقال محمد وما عليك أن تقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله .

وروى عبدالله أيضا وأبو بكر الآجري عن محمد بن سيرين قال اذا قيل لك أمؤمن أنت فقل (آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق) .

وروى عبدالله وأبو بكر الآجري أيضا عن ابراهيم قال اذا قيل لك أمؤمن أنت فقل لا اله الا الله .

وروى عبدالله وأبو بكر الآجري أيضا عن ابراهيم قال سؤال الرجل الرجل أمؤمن أنت بدعة .

وروى عبدالله وأبو بكر الآجري أيضا عن علقمة قال تكلم عنده رجل من الخوارج بكلام كرهه فقال علقمة (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) فقال له الخارجي أو منهم أنت قال أرجو .

وروى عبدالله وأبو بكر الآجري أيضا عن هشام قال كان الحسن ومحمد يقولان مسلم ويهابان مؤمن .

وروى عبدالله أيضا عن ابن طاووس عن أبيه قال كان اذا قيل له أمؤمن أنت قال آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يزيد على ذلك ، وروى أبو بكر الآجري عن ابراهيم نحو ذلك .

وروى عبدالله أيضا عن الفضيل بن عياض أنه قال لو قال رجل مؤمن أنت ما كلمته ما عشت ، وقال اذا قلت آمنت بالله فهو يجزيك من أن تقول أنا مؤمن واذا قلت أنا مؤمن لا يجزيك من أن تقول آمنت بالله ، قال فضيل سمعت المغيرة الضبي يقول من شك في دينه فهو كافر وأنا مؤمن ان شاء الله ، قال فضيل الاستثناء ليس بشك .

وقد روي الاستثناء عن عائشة رضي الله عنها رواه عبدالله بن الامام أحمد في كتاب السنة عن عبدالرحمن أبي

عصمة قال كنت عند عائشة رضي الله عنها فأتاها رسول معاوية بهدية فقال أرسل بها اليك أمير المؤمنين فقالت أنتم المؤمنون ان شاء الله وهو أميركم وقد قبلت هديته .

قال أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة من صفة أهل الحق الاستثناء في الايمان لا على جهة الشك نعوذ بالله من الشك في الايمان ولكن خوف التزكية لانفسهم من الاستكمال للايمان لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الايمان أم لا ، وذلك أن أهل العلم من أهل الحق اذا سئلوا أمؤمن أنت قال آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وأشباه هذا ، والناطق بهذا والمصدق به بقلبه مؤمن وانما الاستثناء في الايمان لا يدري أهو ممن يستوجب ما نعت الله عز وجل به المؤمنين من حقيقة الايمان أم لا ، هذا طريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم باحسان ، عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق بالقلب ، وانما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الايمان ، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون ، به يتوارثون وبه يتناكحون وبه تجري أحكام ملة الاسلام ولكن الاستثناء منهم على حسب ما بينا وبينه العلماء من قبلنا قال الله عز وجل (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقد علم الله عز وجل أنهم داخلون ، وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم المقبرة فقال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون » وقال صلى الله عليه وسلم « اني لارجو أن أكون أخشاكم لله » .

قال محمد بن الحسين وهذا مذهب كثير من العلماء وهو مذهب أحمد بن حنبل واحتج أحمد بما ذكرنا واحتج بمساءلة الملكين في القبر للمؤمن ومجاوبتهما له فيقولان له « على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث يوم القيامة ان شاء الله تعالى ،

ويقال للكافر والمنافق على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله » .

حدثني أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبدالحميد الواسطي قال حدثنا أبو بكر الاثرم قال سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل سئل عن الاستثناء في الايمان ما تقول فيه ، قال أما انا فلا أعيبه ، قال أبو عبد الله اذا كان تقول ان الايمان قول وعمل واستثناء مخافة ليس كما يقولون على الشك أفما تستثني للعمل قال الله عز وجل (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) فهذا استثناء بغير شك ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اني لأرجو أن أكون أخشاكم لله عز وجل » قال هذا كله تقوية للاستثناء في الايمان .

وحدثنا جعفر الصندلي قال حدثنا الفضل بن زياد قال سمعت أبا عبدالله يعجبه الاستثناء في الايمان فقال له رجل انما الناس رجلان مؤمن وكافر فقال أبو عبدالله فأين قوله تعالى (وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم) قال وسمعت أبا عبدالله يقول اذا قال أنا مؤمن ان شاء الله فليس هو بشاك قيل له ان شاء الله أليس هو شك فقال معاذ الله أليس قد قال الله عز وجل (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) وفي علمه أنهم يدخلونه ، وصاحب القبر اذا قيل له « وعليه تبعث ان شاء الله » فأي شك ههنا ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « وانا ان شاء الله بكم لاحقون » انتهى .

فان قيل فقد روى ابن المبارك في الزهد عن معمر عن صالح ابن مسمار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحارث بن مالك الأنصاري « يا حارث بن مالك كيف أصبحت » قال أصبحت مؤمنا حقا قال « ان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك » قال عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمأت نهاري وكأني

أنظر الى عرش ربي وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أسمع عواء أهل النار فقال « مؤمن نور اللـه قلبه » ٠

وروى أبو أحمد العسكري من طريق أحمد بن أبي الحـواري سمعت أبا سليمان الـداراني سمعت شيخا بساحل دمشق يقال له علقمة بن يزيد بن سويد الازدي حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث قال وفدت على رسول الله صلى اللـه عليه وسلم سابع سبعة من قومي فاعجبه سمتنا وهدينا قال ماأنتم قلنا مؤمنون قال فما حقيقة ايمانكم قلنـا خمس عشرة خصلة خمس أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية ، فذكر الحديث بطولـه ، وقد ساقه ابن كثير في البداية والنهاية فقال ذكر أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى المديني من حـديث أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني قـال حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال حـدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث فذكره ، وقد أورد ابن محمود هـذين الحديثين في بعض رسائله واعتمد عليهما في الجزم بالايمـان بدون استثناء ، وقال في الكلام على حديث الحارث بن مـالك الأنصاري فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم جزمه بايمانه بدون استثناء ، وقال في الكلام على حديث سويد بن الحارث ان النبي صلى الله عليه وسلم أقرهم على الجزم بالايمـان ولم ينكر عليهم ٠

والجواب أن يقال كل من الحـديثين منكر لا يصـلح للاستشهاد به فضلا عن الاحتجاج به ، فأما حديث الحارث بن مالك الأنصاري فقال الحافظ ابن حجر في الاصابة هو معضل، قال ورواه البيهقي في الشعب من طريق يوسـف بن عطية الصفار وهو ضعيف جدا ، قال البيهقي هذا منكر وقـال ابن صاعد هذا الحديث لا يثبت موصولا انتهى ٠

وقد وهم ابن محمود فجعل هذا الحديث عن حـــارثة بن النعمان والصواب أنه الحارث بن مالك الأنصاري كمـا ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الاصابة ٠

وأما حديث علقمة بن يزيد بن سويد الازدي فهو أضعف مما قبله ، قال الحافظ الذهبي في الميزان ، علقمة بن يزيد بن سويد عن أبيه عن جده لا يعرف وأتى بخبر منكر فلا يحتج به، وكذا قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٠

واذا علم سقوط الحديثين اللذين احتج بهمـا ابن محمود على الجزم بالايمان بدون استثناء فليعلم أيضـا أن المعتمد في هذا ما ثبت عن ابن مسعود رضي اللـه عنه وغيره من أكابر العلماء من انكار الجزم بالايمان بدون استثناء وليس مع من خالفهم دليل يصلح لمعارضتهم ٠

وأما الآية من سورة البقرة وهي قوله تعالى (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) فان العطف فيها بالواو يفيد المغـايرة بين جميع المذكورين في الآية الكريمة ، ومن زعم أن الواو لا تفيد المغـايرة وانه يراد بالتالي نفس الأول فلازم قولـه أن يكون ميكال نفس جبريل وأن تكون الرسل من بني آدم نفس الملائكة ، وهذا من أبطل الباطل ٠

وانما وقع النص على جبريل وميكال مع أنهما من الملائكة لشرفهما على سائر الملائكة وهو من باب عطف الخاص على العام

وأما قوله صلى الله عليه وسلم «فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله » فانما هو وارد في التحذير من دعوى الجاهلية وهو أن الرجل منهم اذا غلبه خصمه نادى قومه بأعلى صوته يا آل فلان فيبتدرون الى نصرته ظالما كان

أو مظلوما جهلا منهم وعصبية ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن مشابهة أهل الجاهلية في حميتهم وعصبيتهم وعاداتهم السيئة وأمر المسلمين أن يدعوا بالاسماء التي سماهم الله بها في كتابه ، وليس في الحديث ما يعارض الاحاديث الصحيحة التي جاء فيها التفريق بين الاسلام والايمان لانها تفسر ماأجمل في غيرها والله أعلم ٠

وأما قول ابن محمود مثله قول أحدنا لا حول ولا قوة الا بالله ، وغير ذلك من الألفاظ التي يعطف بعضها على بعض ويراد بالتالي نفس الأول ٠

فجوابه : أن يقال أن القوة ليست نفس الحول كما توهم ذلك ابن محمود بل بينهما فرق يدل على ما بينهما من المغايرة التي من أجلها وقع العطف بينهما بالواو ، وقد نقل ابن منظور في لسان العرب عن الأزهري قال سمعت المنذري يقول سمعت أبا الهيثم يقول عن تفسير لا حول ولا قوة الا بالله قال الحول الحركة تقول حال الشخص اذا تحرك وكذلك كل متحول عن حاله فكأن القائل اذا قال لا حول ولا قوة الا بالله يقول لا حركة ولا استطاعة الا بمشيئته،ونقل ابن منظور أيضا عن الكسائي أنه قال يقال لا حول ولا قوة الا بالله ولا حيل ولا قوة الا بالله وورد ذلك في الحديث لا حول ولا قوة الا بالله وفسر بذلك المعنى لا حركة ولا قوة الا بمشيئة الله تعالى انتهى ٠

وقال ابن الأثير في النهاية ، فيه لا حول ولا قوة الا بالله الحول ههنا الحركة يقال حال الشخص يحول اذا تحرك ، المعنى لا حركة ولا قوة الا بمشيئة الله تعالى ، وقيل الحول الحيلة والأول أشبه انتهى ٠

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات قوله لا حول ولا قوة الا بالله قال أبو الهيثم الحول الحركة يقال أحال الشخص

اذا تحرك ويقال استحل هذا الشخص أي أنظر هل يتحرك أم لا وكأن القائل يقول لا حركة ولا استطاعة الا بمشيئة الله عز وجل ، وكذا قاله أبو عمر في الشرح عن أبي العباس قال معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في درك خير الا بالله ، وقيل لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمته ولا قوة على طاعة الله الا بعونه ويحكى هذا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه انتهى

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري معنى لا حول لا تحويل للعبد عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة له على طاعة الله الا بتوفيق الله ، وقيل معنى لا حول لا حيلة ، وقال النووي هي كلمة استسلام وتفويض وأن العبد لا يملك من أمره شيئا وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير الا بارادة الله تعالى انتهى .

ومما ذكرته عن أهل اللغة وغيرهم من العلماء يتضح ما بين الحول والقوة من التغاير ويتضح أيضا خطأ من زعم أنه يراد بالتالي نفس الأول والله أعلم .

ومما ذكره الرازي في تفسيره عن المعتزلة أنهم قالوا كل رسول نبي وكل نبي رسول ولا فرق بينهما يتبين أن ابن محمود قد تبع المعتزلة في رسالته التي سماها «اتحاف الاحفياء برسالة الأنبياء» وخالف أهل السنة والجماعة الذين قالوا بالتفريق بين الرسول والنبي ، كما أنه قد تبع الخوارج والمعتزلة في زعمه ان مسمى الاسلام والايمان واحد ، وكذلك قد تبع غلاة القدرية في رسالته التي سماها « الايمان بالقضاء والقدر على طريقة أهل السنة والأثر » حيث كرر فيها انكاره لكتابة المقادير وزعم أنها عبارة عن العلم القائم بذات الله وسبق علمه بالاشياء قبل وقوعها، وبئس السلف غلاة القدرية والمعتزلة والخوارج .

نسأل الله لنا وله الهداية والرجـوع الى الحق والصواب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آلـــه وأصحـابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيرا ...

وقد كان الفراغ من التعليق عـلى رسالتي ابن محمـــود في ١٣٩٧/٧/١٤ هـ على يد كاتبه الفقير الى اللــه تعالى حمود ابن عبد الله بن حمود التويجـــري غفر الله له ولوالــديه وللمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ؟

فهرس « فتح المعبود ، في الرد على ابن محمود »

الموضوع	رقم الصفحة
اجماع الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة والحديث على اثبات كتابة المقادير	٣٤
كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في القدر	٣٤
كلام ابن رجب في القدر	٣٦
خطأ ابن محمود في بيان معنى حقيقة القضاء والقدر والرد عليه	٣٧
خطؤه في تفسيره لقول الله تعالى (اناكل شيء خلقناه بقدر) وفي تغليطه للمفسرين وتخطئته اياهم ومخالفته للحديث الصحيح ، والرد عليه	٣٧
كلام للنووي في المراد بالقدر المذكور في سورة القمر	٣٨
كلام لابن القيم في المخاصمين في القدر	٣٨
قول ابن عباس وعبدالله بن عمرو في الآية من سورة القمر يخالف قول ابن محمود ويرده	٣٩
اتفاق أكثر المفسرين على أن الآية من سورة القمر نازلة في القدرية	٤٠
قول ابن محمود أن كتابة المقادير عبارةعن العلم القائم بذات الله	٤٢
تنبيه على غلط لابن محمود	٤٢
قوله ان كتابة المقادير عبارة عن سبق علم الله بالاشياء قبل وقوعها	٤٣
الرد على أقوال ابن محمود في كتابة المقادير	٤٣
ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية عن غلاة القدرية قد وافقهم ابن محمود في بعضه	٤٦ـ٤٨

رقم الصفحة	الموضوع
٤٧	كلام لشيخ الاسلام ابن تيمية في القـــدر
٤٨	ذكر النصوص من القرآن على اثبات كتابة المقادير وفيها أبلغ رد على ابن محمـــود
٥٦	ذكر النصوص من السنة على اثبات كتابة المقادير وفيها أبلغ رد على ابن محمـــود
٦٥	اجماع الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة والحـديث على اثبات كتابة المقادير
٦٧	استشكال ابن محمـــود لحـــديث احتجاج آدم وموسى ، والـــرد عليه
٦٨	ذكر الاتفاق على صحة حديث احتجاج آدم وموسى وثبوته
٦٨	قول ابن كثير فيمن كذب بحديث احتجاج آدم وموسى
٦٨	قول ابن عبدالبر في حديث احتجاج آدم وموسى أنه أصل جسيم لاهل الحق في اثبات القـــدر
٦٨	ما فعله هارون الرشيد مع من استشكل حـــديث احتجاج آدم وموسى
٧٠ـ٧١	كلام بعض العلماء في الـــرد على الذين أنكروا حـــديث احتجاج آدم وموسى
٧٥	كلام ابن محمود في حديث ابن مسعود الـــذي فيه اثبات كتابة المقادير على الجنين وهو في بطن أمـــه
٧٧	كلام العلماء في حـــديث ابن مسعود
٧٨	الرد على أخطاء ابن محمود فيما يتعلق بحديث ابن مسعود
٧٨	ذكر الأحاديث التي توافق حديث ابن مسعود وتؤيده

رقم الصفحة	الموضـــوع

رقم الصفحة	الموضـــوع

رقم الصفحة	الموضـــوع
١٥٧	زعمه أن من فرق بين الرســـول والنبي فقد فــرق بين الانبياء في الايمان والرد عليه
١٦١	زعمه أن كل مسلم مؤمن وانه لا فرق بين المسلم والمؤمن والـــرد عليه
١٦٥	كلام شيخ الاســلام ابن تيمية في التفريق بين الاســـلام والايمـــان
١٦٧	الخوارج والمعتزلة عندهم ان الايمان والاسلام واحد
١٦٩	تفريق أحمد وغيره من السلف بين الاسلام والايمان
١٧٠	كلام ابن كثير في التفريق بين الايمان والاسلام
١٧٢	كلام ابن رجب في التفريق بين الايمان والاسلام
١٧٤	الزاني يخرج من الايمان الى الاسلام ولا يخرج من الاسلام
١٧٥	ما يلزم من يقول ان مسمى الاسلام والايمان واحد
١٧٦	انكار ابن مسعود على من جزم لنفسه بالايمان ولم يستثن
١٧٧	قول علماء السلف بالاستثناء في الايمان وانكارهم عــلى من لم يستثن
١٧٨	ذكر الأدلة على الاستثناء في الايمان
١٧٩	الاستثناء في الايمان ليس بشك
١٨٠	قول عائشة في الاستثناء في الايمان
١٨١	كلام حسن للآجري في الاستثناء في الايمـــان وانه طريق الصحابة والتابعين
١٨٢	ذكر حديثين ضعيفين جدا قد اعتمد عليهما ابن محمــود في الجزم بالايمان بدون استثناء

تم الفهرس والحمد لله رب العالمين

من مطبوعات ادارات البحوث العلمية
والافتاء والدعـــوة والارشاد
مدينة الرياض
١٣٩٩ هـ
مطبعة المدينة